الاستشــراق والتبشـير
قراءة تاريخية موجزة

سلسلة تصحيح المفاهيم ٣

الاستشراق والتبشير
قراءة تاريخية موجزة

الأستاذ الدكتور

محمد السيد الجليند

أستاذ الفلسفة الإسلامية

دار العلوم ـ جامعة القاهرة

مدير مركز الدراسات والبحوث الإسلامية – جامعة القاهرة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــــاب : " الإستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة"
المؤلـــــــف : د. محمد السيد الجلنيد
تاريخ النشر : ١٩٩٩م
حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة
الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية
الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
ت ، : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ٢٤٠١٧٤٣
فاكس : ٢٤٠١٧٤٤
التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)
المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)
رقـم الإيـــداع :٩٩/٢٤٦٧
الترقيم الدولى : ISBN
977-303-091-1



مقدمة

إن الحمد لله. نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن أهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد،

هذه دراسة موجزة عن الاستشراق والتبشير تلبية لرغبة عزيزة من كلية الشريعة بجامعة قطر. وصادفت هذه الرغبة هوى فى نفسى، خاصة بعد أن أثمرت جهود المستشرقين والمنصرين فى بعض أقطارنا العربية بعض ثمارها على المستوى الثقافى والفكرى فى بعض منها وعلى المستوى التعليمى والإعلامى فى بعضها الآخر.

وسمعنا وقرأنا من يردد آراء المستشرقين فى طلب المساواة بين الرجل والمرآة فى الميراث والطلاق وتعدد الأزواج وتكوين الأسرة غير التقليدية.

ولست ممن يقولون إن الاستشراق أو المستشرقين يجمعهم حكم واحد، أو كلهم على رأى واحد فى موقفهم من الإسلام وقضاياه. لا. بل إن الإنصاف يقضى علينا أن نقول إن منهم منصفين للإسلام ولقضايا المسلمين. ولقد أفدنا من دراستهم الكثيرة حول قضايا الإسلام وينبغى أن لا ننكر ذلك ولا نشك فيه. ولكن مما لا أشك فيه أن

الاستشراق والتنصير كانا من أخطر الوسائل التى سلكها الاستعمار فى تنفيذ سياسته فى العالم الإسلامى، ولا أشك فى أنهما وجهان لعملة واحدة. وهو موقف الصليبية المعاصرة من العالم الإسلامى أقول الصليبية ولا أقول المسيحية وينبغى أن يكون القارىء على وعى بالفروق الجوهرية بينهما.

لأن المسيحية دين نؤمن بما نزل منه على عيسى عليه السلام. أما الصليبية المعاصرة. فهى موقف وأيديولوجية. هى تكوين سياسى وثقافى نرفضه ونحاربه نرفضه كاتجاه ثقافى يهدف إلى إحتواء الإسلام بحضارته وثقافته، الصيلبية موقف واتجاه يهدف إلى تذويب حضارتنا وخصوصيتنا فى حضارة الغرب وثقافته، ولعل رؤوس الفتن التى تطل علينا بين الحين والآخر تحت ستار التنزير والتقدمية هى من آثار جهود هاتين الظاهرتين، وهذه الدراسة الموجزة التى أقدمها تلبية لرغبة كلية الشريعة آمل أن تكون محققة للمطلوب منها. توخينا فيها الإيجاز غير المخل بالمقصود مكتفين بإثارة القضايا الكبرى التى تمثل المحاور العامة والأهداف الكبرى والمقصودة، رغبة فى توضيحها وتعريفها لنكشف النقاب عن هذه الروح الصليبية التى يتعامل بها الغرب مع العالم الإسلامى. وليس ذلك من باب إثارة الأحقاد وزرع الضغائن، وإنما من باب تجلية المواقف وكشف الحقائق. تناولنا خلال القسم الأول ظاهرة الأستشراق وارتباطها تاريخيا بالحروب الصليبية ثم بينا موقف المستشرقين من أهم القضايا الكبرى، القرآن، النبى (والفكر الإسلامى) مؤيدين ذلك بنصوصهم

كلما أمكن ذلك ثم أوضحنا الأخطاء التاريخية والمنهجية والزيف والافتراء الذى وقعوا فيه بسبب بعدهم عن روح الإنصاف وعدم التحلى بطلب الحق وقصده.

وفى القسم الثانى تناولنا قضية التنصير فى العالم الإسلامى وركزنا بصفة خاصة على نشاط المنصرين فى الجزيرة العربية وبينا وسائلهم فى التنصير وسياستهم فى الالتفاف حول الحرمين الشريفين فى الجزيرة العربية وحول دور الأزهر الشريف فى مصر.

ونحن نعلم سلفا أن طبيعة هذه الدراسة تحتاج إلى التفصيل والشرح رغبة فى إزالة الشبهات التى قد يثيرها هذا أو ذاك حول هذا الموضوع الذى نعترف بأهميته وخطورته معاً، ولكن حسبنا فى هذا المقام أن تجىء هذه الدراسة وافية بالمطلوب منها، وأن تحقق الغرض الذى انتدبنا له ونحيل القارىء الكريم إلى المطولات والمصادر التاريخية التى تحقق مقصوده فى معرفة التفصيلات ونلتمس منه العذر فى قصدنا إلى الإيجاز والاختصار. والله من وراء القصد ونسأله سبحانه أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد الجليند

١٤ رجب سنة ١٤١٣هـ

٧ ديسمبر سنة ١٩٩٥م

الاستشراق والمستشرقون

ما هو الاستشراق؟ :

أطلق لفظ الاستشراق على تلك المحاولة التى قام ويقوم بها بعض مفكرى الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامى وحضارته وثقافة الشرق وعلومه.

كما أطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن المفيد أن يعرف القارئ الكريم أن مصطلح الشرق يرجع فى أصل وضعه إلى مفكرى الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى أوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فقط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفى العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التى كان يطلق عليها فى الماضى العالم الشرقى، أو دول الشرق.

والذى يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو ما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط فقط أو المنطقة العربية بالذات، ذلك أن متابعة جهود المستشرقين خارج المنطقة العربية عمل فوق الطاقة الشخصية وليس ذلك داخلاً فى خطتنا من هذه الدراسة ولا يمثل ذلك هدفاً لنا الآن، كما أن دراسات المستشرقين المتعلقة بشعوب العالم الإسلامى من

غير العرب كالهند وباكستان وأندونيسيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا وأفريقيا، كانت فى معظم أحوالها تسير على نفس المنهج الطريقة التى كانوا يسلكونها فى منطقة العالم العربى، وكان الهدف من محاولات المستشرقين وجهودهم فى الدراسات التى قاموا بها فى هذه المناطق كلها هو تطويق المد الإسلامى والعمل على انحساره ووقف نموه المطرد بين أبناء هذه الشعوب المتباعدة وإن كانت أعمالهم تبدو فى معظم أحوالها فى ثوب علمى أو أكاديمى، فإن ذلك ينبغى ألا يحجب عن أعيننا نواياهم الخفية التى صرح بها معظمهم فى المؤلفات والمؤتمرات العلمية التى كانت تعقد بين الحين والحين لهذا الغرض.

أ- النشأة والتاريخ :

علاقة الاستشراق بالحروب الصليبية :

يربط كثير من الباحثين المهتمين بالدراسات الاستشراقية بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وذلك الفشل الذريع الذى منيت به أوربا فى الحروب الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبى، ذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدى المسلمين، ومن الجدير بالذكر أن الحملات الصليبية المتكررة على العالم الإسلامى قد رفعت الصليب شعاراً لهذه الحرب لتعلن للعالم الأوربى أنها حرب دينية مقدسة من ناحية أسبابها ودوافعها، ومن ناحية غايتها

وأهدافها، وما دامت هذه الحملات لم تحقق الهدف الذى قامت من أجله فلابد من البحث عن بديل آخر، ولابد من التفكير فى وسيلة أخرى – ربما كانت طويلة الأجل – تحقق لهم هدفهم من السيطرة على شعوب المنطقة وإخضاع العالم الإسلامى لنفوذهم الثقافى والحضارى ثم السياسى والاقتصادى وكان الاستشراق هو ذلك البديل المتاح فى حينها، ليحقق أحلام الغرب وأهدافه.

واذا كانت فكرة السيطرة على العالم الإسلامى تمثل الهدف والغاية، من نشأة الاستشراق فإن ذلك لا يمنع أن يتجاوز الاستشراق هذا الهدف فى مسيرته التاريخية إلى أهداف أخرى علمية أو حضارية أو ثقافية، لكن الذى أود أن ألفت النظر إليه أن الهدف الأسمى للاستشراق لم يغب عن ذهن المستشرقين لحظة واحدة، بل كان هو المحور والأساس الذى دارت حوله معظم دراسات المستشرقين التى قاموا بها حول الشرق وعلومه، وقد تختلف درجة وضوح هذا الهدف ووسيلة التعبير عنه من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل من المستشرقين إلا أن ذلك لم يكن سببه غياب الهدف عن ذهن هذا المستشرق أو ذاك، وإنما كان سببه يرجع إلى حظ المستشرق نفسه من الثقافة العربية ودرجة اتقانه لها، وذكائه فى أسلوب التعبير عن غايته وهدفه، تصريحاً أو تلميحاً.

ولقد تغير أسلوب المواجهة بين العالم الإسلامى والغرب بعد الحروب الصليبية فاحتلت الكلمة والحوار واستخدام المنهج العلمى

المكانة الأولى فى دراسة نفسية الشرق لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجة وكان ذلك بديلاً عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية.

ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد فى المواجهة العكوف على دراسة أحوال الشرق؛ لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصولها، وأن توضع المناهج الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصلبة التى تكسرت عليها تلك الحملات الصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها نفسياً لمواجهتها بأسلوب يختلف تماماً عن المواجهة العسكرية.

ولما كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدنتها، فإن ذلك جعل رجال الكنيسة فى طليعة المهتمين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا فإن طليعة المستشرقين كانوا فى معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحى.

بداية الاستشراق وأسبابه :

١- لا نستطيع الجزم بتحديد من هو أول شخص نبتت فى ذهنه فكرة الاستشراق وغزو الشرق من الداخل، إلا أن معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه الحركة نشأت فى نهاية القرن العاشر الميلادى وأوائل القرن الحادى عشر بفرنسا، وإن الراهب الفرنسى (جرير دى أولياك ٩٣٨-١٠٠٣م) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة



الاستشراق، حيث رحل من فرنسا إلى أسبانيا مهد الحضارة الإسلامية فى وقته، فتعلم فيها اللغة العربية ووقف على علوم العرب فى الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية حتى قيل إنه كان أوسع علماء عصره معرفة بعلوم العرب، وخاصة فى الرياضيات والفلك، ثم ارتحل إلى روما حيث اشتهر من بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها، وانتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م) وكان بذلك أول بابا فرنسي، واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشيء مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الأولى فى روما مقر البابوية، والثانية فى وطنه الأصلى "دايمس"، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة "شارتر" وقام هذا الراهب الفرنسى بترجمة بعض الكتب العربية فى الرياضة والفلك، وإليه يرجع الفضل فى انتشار الأعداد العربية فى أوربا التى كانت ينقصها رقم الصفر، ولم تكن تعرفه حتى نقله إليها (جرير دى أولياك) من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية.

٢- ثم جاء بعده (قسطنطين الأفريقى ١٠٨٧)، (بطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٦م) و (أرجو دى سانتلا ١١٠٧م) ثم (جيرارد كريمون ١١١٤-١١٨٧م) ثم تتابع رواد هذه الحركة وتكاثرت أعدادهم واختلفت جنسياتهم بحيث شملت معظم دول أوربا

وأمريكا فى العصر الحديث، وكان هؤلاء إذا عادوا إلى بلادهم عملوا على نشر علوم العرب بين أبناء وطنهم إلى أن تطور الأمور بعد ذلك حيث أنشأت الحكومات الأوربية فى جامعاتها أقساماً مستقلة لتدريس اللغة العربية وعلوم الشرق.

٣- ثم أخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو فى أطراد مستمر حتى سنة ١٣١١-١٣١٢م، حيث عقد مؤتمر فينا الكنسى وكان من أهم قراراته إنشاء كرسى للغة العبرية والعربية فى معظم جامعات أوربا، فتأسس كرسى اللغة العربية فى روما على نفقة الفاتيكان، وفى باريس على نفقة ملك فرنسا، وفى إكسفرد على نفقة ملك انجلترا، ويعتبر كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة.

الدوافع والأهداف :

مما لا ريب فيه أن الحروب الصليبية قد تركت آثارها السيئة على نفسية الغرب، لكنها فى الوقت نفسه قد فتحت أعين الغرب على الشرق وما فيه من علوم ومعارف وحضارة، ولقد واكب ذلك ما شهدته أوربا من حركة الإصلاح الدينى وموقف الكنيسة من العلم والعلماء، ولقد فرضت هذه الظروف الجديدة على الكنيسة أن تعيد ترتيب أوراقها، وأن تعيد النظر فى المفاهيم الدينية التى تتعامل بها

مع العلماء، بحيث تعيد تأويل هذه المفاهيم بما لا يتعارض مع العلم، وترتب على هذه النزعة الإصلاحية أن أحس الغرب بحاجته إلى التعرف على المزيد من علوم الشرق وثقافته، ومن هذه المواقف وغيرها كانت الدوافع والأهداف وراء حركة الاستشراق، ونستطيع أن نوجز أهم هذه الدوافع كما أشار إليها المفكرون فيما يلى : (١)

١- إثارة الخلافات الدينية :

لا يمكن إرجاع ظاهرة الاستشراق إلى عامل واحد فقط وذلك نظراً لاتساع نشاطه وتعدد أهدافه، ولكن الذى لا أشك فيه هو سيطرة السبب الدينى على سائر أسبابه الأخرى، وفى هذه الدراسة الموجزة من النصوص ما يدل بيقين على صدق ما نقول من سيطرة السبب الدينى وهيمنته على الأسباب الأخرى، ولقد سلك المستشرقون وسائل شتى لتحقيق هذا الهدف الدينى، لكن كان أخطرها بلاشك التركيز على إثارة القضايا الخلاقية فى الفكر الإسلامى والعمل على إحياء الأراء الشاذة للفرق المغالية ليشغل المسلمون أنفسهم بهاعن التفكير فى عظائم الأمور، فعمدوا إلى إثارة الخلافات المذهبية والصوفية، كما ركزوا فى دراساتهم على إحياء ألوان معينة من التراث الصوفى للغلاة من الصوفية فتخصص الكثير منهم فى تراث ابن عربى وابن سبعين والحلاج وذى النون المصرى، وحاول

---

(١) راجع فى تفصيلات هذه الأسباب كتاب الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار، د. محمد البهى، الاستشراق والتبشير د. عمر فروخ، الاستشراق والمستشرقون نجيب العفيفى.

بعضهم إحياء الخصومات التاريخية بين المعتزلة والأشاعرة أو بين المعتزلة والسلف.

أ- وهذا الهدف قد أعلنه المستشرقون قديماً وحديثاً ولم يجدوا فى ذلك حرجاً ولا عيباً، ولكن الحرج والعيب من وجهة نظرنا أن يتشكك بعض الباحثين من المسلمين فى صدق الهدف ويشككوا فيه، ولقد صرح المفكر الفرنسى "هانوتو" بعد أن إحتلت فرنسا الجزائر بما يلى : لقد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية" وكانت هذه العبارة عنواناً لمقال كبير نشر مترجماً بالغة العربية فى جريدة المؤيد المصرية ونقل أطرافاً منه – المرحوم الدكتور محمد البهى – فى كتابه عن الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار"، ومما جاء فيه: إنه لا يوجد مكان على ظهر الأرض إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشراً فى الآفاق، فهو الدين الوحيد الذى أمكن انتحال الناس له زمراً وأفواجاً، وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل إليه والتدين به كل ميل إلى اعتناق دين سواه.. إن هذا الدين قائم الدعائم ثابت الأركان فى أوربا عينها .. لقد صارت فرنسا فى كل مكان فى صلة مباشرة مع الإسلام، بل صارت فى صدر الإسلام وكبده.. ليس الإسلام فى داخلنا فقط بل هو خارج عنا أيضاً، قريب منا فى مراكش.. قريب منا فى طرابلس الغرب.. قريب منا فى مصر.. وهو شائع ومنتشر فى آسيا.. ولا يزال الهلال

(الإسلامى) ينتهى طرفاه من جهة بمدينة القسطنطينية ومن جهة أخرى ببلدة فاس فى المغرب الأقصى معانقاً بذلك الغرب كله.

ويقول هانوتو : إن هذا الدين قائم فى الآستانة حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصاله من هذا الركن المنيع الذى يحكم منه على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية بعضها عن بعض شطرين. ثم يعلن "هانوتو" صراحة أنه لابد من العمل على تفكيك تلك الرابطة التى تجمع بين المسلمين شرقاً وغرباً على سطح المعمورة فتجعل منهم أمة واحدة، وهى رابطة الدين، لابد من العمل على اضعاف هذه الروح السائدة التى تحرك المسلمين من سباتهم.. إنهم متى اقتربوا من الكعبة، من البيت الحرام.. من ماء زمزم المقدس، من الحجر الأسود.. وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة التى استحثتهم على ترك بلادهم فى أقصى مدن العالم للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام اشتعلت جذوة الحمية الدينية فى قلوبهم.. إن رابطة الإخاء الجامعة بين أفراد المسلمين كفيلة بأن تجعل المسلم فى شرق الأرض يهب لنصرة المسلم فى غربها فهى عامل مؤرق لفرنسا فى المستعمرات التى تخضع لها.

ومن هنا فإن العمل على إضعاف هذه الرابطة بين المسلمين كانت ولا زالت تمثل غاية وهدفاً لنشاط المستشرقين؛ وما كتبه "هانوتو" صرح به غيره. لقد كتب "كيمون" المستشرق الفرنسى فى كتابه بثولوجيا الإسلام عن المسلمين وعن رسولهمﷺ بمثل ما صرح

به "هانوتو" وزيادة، حيث وصف الرسول الإسلام بصفات يخجل القلم عن تسطيرها.

ب- إذا أضفنا إلى ذلك أن أول من اشتغل بعلوم الشرق بحثاً ودراسة كان راهباً وقسيساً ثم بابا لروما فيما بعد، كما أن معظم المشتغلين بعلوم الشرق قديماً وحديثاً، معظمهم من رجال الكهنوت المسيحي واليهودي، ولا يمكن أن نتصور هؤلاء مجردين من عواطفهم الدينية، بل إنهم كانوا مدفوعين إلى هذا اللون من الدراسة بدافع الانتصار لدينهم، إن هذه النوايا التي عبرت عنها نصوص أصحابها -وغيرها كثير- تجعلنا نثق في صدق سيطرة السبب الديني وهيمنته على الأسباب الأخرى، ومن هنا فقد تنوعت الدراسات الإسلامية عند المستشرقين وتعددت اهتماماتهم بالإسلام وحضارته، فمن دارس للعقيدة وأصولها، وللفقه وأصوله وللتاريخ وحضارته، وللقرآن وعلومه وللحديث ورجاله، واللغة وآدابها، والرسول وغزواته وعلاقته بأهل الكتاب في المدينة واتبعوا في ذلك منهجاً نفسياً ركزوا خلاله على سر قوة المسلم ونقاط الضعف في العالم الإسلامي، ليسلبوا المسلم سر قوته ليصبح بعد ذلك لقمة سهلة التناول في أيديهم، يشكلون عقيدته حسب أهوائهم الصليبية، وحسب مكرهم السياسي والمذهبي، ولقد أفصح بعضهم عن هذا الهدف في بعض المؤتمرات بقوله : ".. لانريد أن نرسل إلى الشرق جنوداً مسلحين وإنما نريد لهم رسلاً مبشرين بالنصرانية".

وهذه الأهداف التبشيرية كانت واضحة تماماً فى كتابات المستشرقين قديماً وحديثاً مما مهد الطريق لحملات التبشير فى العصر الحديث، حيث التقت أهداف الاستشراق والتبشير فى العمل على بذر الشكوك حول عقيدة المسلم ورسوله، ليخرجوا المسلم عن دينه إن استطاعوا، فإذا عجزوا عن تحقيق هذا الهدف فلا أقل من أن يتركوه بلا دين ولا عقيدة كما صرح بذلك "زويمر" وصدق الله العظيم حيث يقول :﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة : الآية ١٢٠).

٢- التمهيد للاستعمار :

لم يكن استيلاء صلاح الدين الأيوبى على بيت المقدس بالأمر الذى ينساه الغرب، بل إن الأمل فى السيطرة عليه وتخليصه من أيدى المسلمين، ظل حلماً وأملاً بالنسبة للصليبيين، ولذلك فإن الحملات الصليبية تكررت كثيراً على بيت المقدس لتحقيق هذا الهدف، وكان من الوسائل التى سلكها الغرب لتحقيق هدفهم محاولة دراسة ما يتعلق بشؤون البلاد وأحوال الناس فيها، وهذا الدور الذى قام به المستشرقون قد مهد السبيل للاستعمار لكى يحتل بلاد المسلمين بأيسر السبل وأقصرها معاً، فلم يكد ينتهى القرن التاسع عشر إلا وقد احتل الغرب معظم البلاد الإسلامية والعربية بصفة خاصة، فوضعت فرنسا يدها على سوريا ولبنان ومعظم دول شمال أفريقيا الإسلامية، ووضعت انجلترا يدها على مصر والسودان والعراق والأردن

وفلسطين وكثير من إمارات الخليج العربى واليمن، وبدأ الاستعمار يتعامل بأسلوب جديد مع شعوب هذه المناطق، حيث عمل على إضعاف روح المقاومة فى نفوس المسلمين ليجعل منهم شعوباً قابلة للاستعمار فكراً وثقافة وحضارة وعقيدة، وهذا أخطر ما أصيب به العالم به العالم الإسلامى، قابليته للاستعمار بأشكاله وأساليبه الحديثة والمعاصرة، وكان من أهم وسائل الاستعمار فى ذلك ما يلى :

أ- التشكيك فى ماضى هذه الأمة، فى تراثها وحضارتها، حتى إذا فقد المسلم ثقته فى نفسه أخذ يبحث له عن هوية وانتماء يعيد به ثقته فى نفسه ويجد فيه الأمان المفقود، فيرتمى فى أحضان الغرب تقليداً واتباعاً، وظهرت مصطلحات : التنوير، التقدمية، كمبررات لتقليد الغرب والارتقاء فى أحضانه.

ب- وضع مفاهيم جديدة وطرحها على الرأى العام خلال أجهزة الإعلام التى نجح الاستعمار فى استقطاب كثير من العاملين بها ليقوموا نيابة عنهم بهذه المهمة، بقصد إضعاف روح الانتماء الإسلامى والعربى، فطرحوا الفكر القومى بدلاً من الانتماء الإسلامى، وعملوا على إحياء الفرعونية فى مصر، والفينيقية والآشورية فى بلاد العراق والشام، والكردية والفارسية والتركية كل فى موطنه، بعد أن كانت هذه الأقطار المترامية يجمعها رباط واحد هو الإسلام، وخلافة واحدة هى الخلافة العثمانية، ولقد روج المستشرقون ومن سار فى ركبهم لهذه الروح الجاهلية التى كان القضاء عليها هدفاً من أهداف الإسلام وانفراط عقد

الأمة بالقضاء على الخلافة العثمانية التى كانت رمزاً حياً لهذه الوحدة الإسلامية. واحتل الحديث عن القوميات مكان الصدارة بدلاً من الحديث عن الانتماء الإسلامى والإخاء الدينى، وأصبحت الفرصة مواتية للاستعمار ليملأ الفراغ فى هذه البلاد بعد سقوط الخلافة العثمانية، وأخذ يحتل البلد تلو الآخر حتى تمت له السيطرة على الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً ووضع يده على ثروات شعوبه، وأحكم القبضة على العالم الإسلامى، وكان له ما أراد بعد أن مهد الاستشراق له بخلقه روح القابلية للاستعمار وإضعافه روح الانتماء الدينى بين المسلمين.

٣- ثروات الشرق :

كانت -ومازالت- ثروات الشرق وخيراته إحدى الأهداف التى سعى الغرب للسيطرة عليها ووضعها تحت يده، وحرمان شعوب المنطقة منها، ولذلك فقد أنشئت الأسواق التجارية والمؤسسات المالية، وكان الحصول على هذه الثروات بأبخس الأثمان دافعاً قويا لحركة الاستشراق ومن هنا أرسلت المؤسسات المالية فى الغرب من يتولى إدارة شؤونها فى الشرق فعينت المستشارين والمترجمين من المستشرقين، كما أخذ بعض المستشرقين المهتمين بالتراث العربى يعمل على تحقيقه ونشره والاستفادة منه، كما أنشأوا بعض المؤسسات المالية فى دول الخليج واليمن، وكان بعض العاملين بها من المستشرقين الذين اهتموا بجمع المخطوطات العربية من المكتبات الخاصة من البلاد الخليجية ونقلوها إلى إوروبا، والذى يقرأ فهارس

المخطوطات بالمتحف البريطاني يتبين له أن كثيراً من تراثنا الإسلامي تحت أيديهم وفي حوزتهم.

٤- الاحتواء السياسي :

بعد حركة التحرير التي سادت شعوب المنطقة العربية حرص الاستعمار على أن يكون له بين هذه الشعوب من يتولى تنفيذ مخططه والقيام على شؤون مصالحه، فعين في سفارته وقنصلياته مستشارين لهم من ذوة الخبرة والمعرفة بشؤون الشرق وعلومه، وكان المستشرقون من أهم العناصر التي قامت بهذه المهمة، وكان نشاطهم السياسي ملحوظاً في جميع البلاد التي عملوا بها، وكان من أهم أعمالهم أن اتصلوا بكثير من المشتغلين بالثقافة والتعليم والإعلام في هذه المنطقة ليشكلوا منهم ما يمكن أن نسميه بالطابور الخامس ليتولى نيابة عنهم نشر الأفكار التي يرغبون في إشاعتها بين الشعوب العربية كالقوميات، وإحلال العامية بدلا من الفصحى، ومثالية النموذج الأوربي ووجوب الأخذ به.. الخ، وكثيرا ما كانت تقع الاضطرابات السياسية والانقلابات العسكرية، وكثيراً ما كانت تتغير المناهج الدراسية والبرامج الثقافية في كثير من البلاد استجابة لمصالح الغرب وتلبية لرغبة هؤلاء العملاء في البلاد الإسلامية، خاصة إذا عرفنا أن هذه الشخصيات كانت تتولى مناصب قيادية في أجهزة الحكم في بلادهم وبالذات في المجالات الثقافية والإعلامية والتربوية، وهذا لم تسلم منه بلد إسلامي تقريباً ولا يغيب عن الذهن ما فعله كرومر ودانلوب في المنطقة العربية في مطلع هذا القرن.

٥- طلب العلم والمعرفة :

وقد نجد عدداً قليلاً من المستشرقين طلبوا علوم الشرق والتعرف على حضارته طلباً للمعرفة وحباً فيها، وهذا عدد قليل إذا قيس بأعداد المستشرقين الآخرين، وهذا النوع من المستشرقين يتميز بالروح العلمية النزيهة، والدقة فى الأحكام العلمية والإنصاف فيها، ولا نعدم أن نجد بينهم من شهد للحضارة العربية بدورها الرائد فى الحضارة الأوربية المعاصرة وخاصة فى العلوم الرياضية والتجريبية، وكثير منهم كتب مؤلفاته وبحوثه حول شخصيات إسلامية كانت رائدة فى مجالات العلم المتعددة، ونجد بين هؤلاء من وصل به بحثه النزيه وروحه العلمية إلى اكتشاف الحقيقة فآمن بها وأعلنها، وقد يصل به الأمر فى نهاية المطاف إلى أن يعلن إسلامه، ويعلم المتخصصون فى هذا اللون من الدراسات أن هناك عدداً غير قليل من المستشرقين يتمتعون بهذه الروح العلمية النزيهة، وقد تحولوا بعد إسلامهم إلى جنود مدافعين عن الإسلام وقضاياه، وعن العالم الإسلامى ومشكلاته، غير أن هناك أموراً يشترك فيها جميع المستشرقين بما فيهم هذا النمط الأخير، فهم جميعاً قد يقعون فى أخطاء علمية بسبب جهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها، ويرتبون على فهمهم الخاطئ نتائج وأحكاماً خاطئة تبتعد بهم كثيراً عن منطق الصواب والإنصاف، وقد يكون الفارق بين هذا النمط الأخير وغيرهم هو توفر حسن النية عند النمط الأخير الذى تميز بالإنصاف والنزاهة وتوفر سوء القصد وعدم النزاهة عند غيرهم.

موقف المستشرقين من الفكر الإسلامى

تنوعت اهتمامات المستشرقين بالإسلام وتعددت اتجاهاتهم، بحيث شملت كل فروع الثقافة الإسلامية تقريباً، وأسسوا مدارس وأقساماً فى الجامعات الأوربية تخصصت فى هذه الدراسات الشرقية، واستقدموا لها بعض أبناء العالم الإسلامى ليتعلموا بها عن طريق المنح الدراسية وعن طريق التبادل الثقافى بين الجامعات، وحصل كثير من أبناء العالم الإسلامى على درجاتهم العلمية من هذه الجامعات الأوربية، ومن جهة أخرى عملت بعض الدول الأوربية على إنشاء جامعات ومدارس فى كثير من البلاد الإسلامية تعمل تحت إشرافها العلمى وخططها الدراسية، ولا تكاد تخلوا بلد إسلامى من هذا النوع من المؤسسات التعليمية التى تخضع فى تمويلها ومناهجها العلمية لدول أوربا، وفى معظم الأحوال فإن أبناء هذه المدارس، وخريجيها يكون ولاؤهم الثقافى والحضارى والسياسى لهذه الدول التى تلقوا تعليمهم فيها أو تحت إشرافها.

ومن الجهود التى قام بها المستشرقون، انهم قاموا بوضع الموسوعات العلمية الإسلامية مثل دوائر المعارف المختلفة مثل دائرة المعارف الإسلامية، والقاموس الإسلامى، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ورغم الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى دائرة المعارف الإسلامى أو فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، إلا أن هذه الأعمال قد أدت خدمات جليلة للباحثين ووفرت كثيراً من الجهد والوقت

للدارسين، والأخطاء التى وقعت فى هذه الدوائر المعرفية قد انتقلت منها إلى كثير من أعمال الدارسين وقبلوها على أنها قضايا مسلمة وشاعت هذه الأخطاء بين المهتمين بالدراسات الإسلامية من العرب وغيرهم.

كذلك امتدت نشاطات المستشرقين فى مجال الدراسات العربية والإسلامية فعقدوا المؤتمرات والندوات وألقوا المحاضرات فى الجامعات العربية والإسلامية، فضلاً عن تأليف الكتب والاشتغال بتحقيق التراث العربى والإسلامى فى مجالات كثيرة، كما تسللوا إلى المجامع اللغوية فى كثير من البلاد، فأصبح بعضهم أعضاء عاملين فى مجمع اللغة العربية بمصر، وفى سوريا، وبغداد، والمغرب وتونس ولا تكاد تخلو جامعة أوربية الآن من قسم متخصص فى الدراسات الشرقية والإسلامية، وكانت أكثر دول أوروبا اهتماماً بهذه القضية هى فرنسا، فأنشأت بها أقدم مدرسة للدراسات العربية منذ القرن الثانى عشر فى "دايمس" بأمر البابا سلفستر، ثم مدرسة شارتر سنة ١١١٧م، وأنشأ البابا هونوريوس معهداً للغات الشرقية سنة ١٢٨٥م، كما أنشئ أخيراً كرسى للغات الشرقية والدراسات الإسلامية بباريس والسوربون، فضلاً عن المدارس الكثيرة التى انتشرت فى أنحاء كثيرة من فرنسا لهذا الغرض، ثم أنشأت فرنسا معاهد كثيرة فى البلاد الإسلامية التى احتلتها، فأنشأت المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بمصر فى المنيرة سنة ١٨٨٠م، وأنشأت كلية بورجاد فى تونس سنة

١٨٤١م، ثم تحولت إلى جامعة للآداب العربية، وانشأت مدرسة الآداب العالية بالجزائر سنة ١٨٨١م، ثم تحولت إلى جامعة سنة ١٩٠٩م، وكذلك أنشأت فى المغرب معهد للدراسات المغربية بالرباط سنة ١٩٣١م ولها فى دمشق المعهد الفرنسى سنة ١٩٢٢م، وكذلك المعهد الفرنسى بطهران الذى أنشئ سنة ١٩٤٨م.

ولقد أخذت معظم دول أوربا تحذو حذو فرنسا فى الاهتمام بالدراسات الاستشراقية فأنشأت أقساماً ومعاهد ومدارس مختلفة للدراسات الشرقية كما هو الحال فى جامعة إيطاليا، وانجلترا، وأسبانيا والبرتغال، والنمسا، وهولندا، وألمانيا، والدنمارك، والسويد، والمجر، وروسيا وأمريكا.. الخ وبعض هذه الدول قد أسست فى كثير من البلدان التى تقع تحت نفوذها معاهد أو كليات تابعة لهم، كما فعلت أمريكا فى بيروت ومصر وتركيا غيرها، حيث أنشأت بكل منها جامعةمستقلة تسمى الجامعة الأمريكية يتسرب من خلال نشاطها الثقافى مبادؤها وأهدافها إلى الجامعات والمؤسسات التربوية فى هذه الشعوب.

ولقد اختلفت مواقف المستشرقين من الفكر الإسلامى وقضاياه تبعاً لاختلاف أديانهم أو مذاهبهم الفكرية والسياسية، لأننا نجد بين صفوف المستشرقين اليهودى الحاقد على الإسلام وأهله، والمسيحى الراهب المبشر بدينه، والشيوعى الملحد الذى لا دين له، ولابد أن تختلف مواقف هؤلاء جميعاً تبعاً لانتمائهم الفكرى والعقائدى، ولكن

على سبيل العموم كان أسوأ هؤلاء جميعاً هم المستشرقون اليهود، فمنهم من يتهم الإسلام بأنه دين فرضه محمد وأتباعه بقوة السيف والحروب.

وفيهم من ينكر نبوة محمد أصلا ويرى أن ما جاء به من تعاليم قرآنية أخذها عن أحبار اليهود وكهنة النصارى.

ومن المستشرقين من يتهم إله المسلمين بأنه متعال جبار بينما إله النصارى عطوف ودود متواضع ظهر للناس فى صورة واحد منهم وهو عيسى ابن مريم، ولا يكاد يخلو كتاب استشراقى يتصل بالإسلام ونبيه إلا وهو يقطر سماً وحقداً على الإسلام والمسلمين، ويفصح بعض المستشرقين عن هذا الحقد المعلن فى تعليق صريح له، على الحملات الصليبية فيقول : وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الانجيل على القرآن وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة.

وقد يطول بنا المقام لو أردنا التفضيل فى موقف المستشرقين من الفكر الإسلامى وعلمائه، ولكننا سوف نقصر دراستنا هنا على نقاط محددة أراها أكثر مناسبة للمقام حسب المساحة المحددة لنا فى هذا الكتاب.

١- موقفهم من النبى والقرآن الكريم :

يرتبط موقف المستشرقين من القرآن الكريم بموقفهم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم يقفون من النبى موقف الإنكار

المطلق، وقد ينكر بعضهم أصل النبوة أساساً ولا يعترف بها إطلاقاً، لأى من أنبياء الله ورسله، وهذا الإنكار يترتب عليه القول بأن محمداً ليس نبياً وبالتالى فإن القرآن حسب زعمهم لا يكون وحياً من السماء، وإنما هو من عند محمد ومن وضعه هو، وليس كتاباً إليهاً ولا وحياً سماوياً.

ومعلوم أن الإيمان بالنبى والنبوة أصل من أصول الاعتقاد التى لا تقبل الشك يؤمن بها كل مسلم إيماناً جازماً كإيمانه بالله وهى المفتاح الحقيقى لتقبل كل ما جاء به الوحى والإيمان به.

والنبوة فى جوهرها إنباء الله عبداً من عباده بشرع ما، فإن أمره بتبليغ هذا الشرع إلى الناس كان رسولاً نبياً، وإن لم يأمره بالتبليغ كان نبياً فقط، والنبوة فى جوهرها اصطفاء ووهب وعطاء من الله، وليست كسباً ولا اجتهاداً كما يرى بعض الفلاسفة. وما بلغته الرسل إلى الناس من شرائع وعبادات ليس من عند أنفسها، وإنما هى وحى من الله نزل به الروح الأمين على قلب محمد وغيره من الرسل ليكونوا من المنذرين به فنزل القرآن بالعربية، والإنجيل بالسريانية، والتوراه بالعبرية، تحقيقا لمعنى قوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ (ابراهيم:٤) وهذا الوحى ليس فيضاً من العقل الفعال كما تدعى الفلاسفة، وليس إلهاماً ولا إبداعاً لعبقرية محمد كما يقول بعض المستشرقين، وإنما هو وحى من الله على قلب الرسل بواسطة ملك الوحى جبريل - عليه السلام- فهو من عند الله بلفظه ومعناه.

والمستشرقون يرون القضية عكس ذلك تماماً، فهم أولاً لا يؤمنون بنبوة محمد ولا يعترفون بها.

١- فهو عند البعض أحد عباقرة العالم العشرة.

٢- وعند البعض الآخر أحد الأبطال العظماء.

٣- وعند آخرين ناقل ذكى من كتب الأولين.

٤- أو متعلم من رهبان النصارى قد أجاد فى تعلمه عنهم.

٥- أو أحد المشعوذين وطلاب الرياسة والزعامة.. هكذا يقولون فى حق نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، وإذا أرادوا شيئاً من الإنصاف قالوا إنه جاء ليدعو إلى الإشتراكية وليس إلى عقيدة دينية جديدة.

أ- يقول هويرت جريمى "مستشرق ألمانى" فى كتابه : "محمد"[١] لم يكن محمد فى بادئ الأمر يبشر بدين جديد بل إنما كان يدعو إلى الإشتراكية، ثم يقول : فالإسلام فى صورته الأولى لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه.. بل هو محاولة للإصلاح الاجتماعى تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إزالة الفوارق الصارخة بين الأغنياء والفقراء، لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو يستخدم فكرة الحساب فى اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوى وتأييد دعوته.

---

(١) ص٥٦٥،٥٩٢،١٤١،٣.

ب- بينما يرى المستشرق الإنجليزى "جب" فى كتابه : "المذهب المحمدى" أن محمداً ككل شخصية مبدعة قد تأثرت بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة فى زمانه، والدائرة فى المكان الذى نشأ فيه.. ومحمد نجح لأنه كان واحداً من المكيين، ومعارضة المكيين له لم تكن من أجل تمسكهم بالقديم، أو بسبب عدم رغبتهم فى الإيمان وإنما كانت لسبب سياسى أو أقتصادى فالمستشرق "جب" يفسر موقفه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيرى أن الظروف المكية هى التى جعلت من محمد زعيماً سياسياً وأعطته الفرصة لكى يظهر فى وسط قومه المكيين بهذه الصورة وإن يلتف حوله فقراء مكة طلباً للإنصاف من الأغنياء.

جـ- وهناك نمط آخر من المتشرقين يرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد حلت به حالة نفسية أدت به إلى نوع من التأمل الذاتى فى السماء وما فيها من نجوم، وساعد على تألق هذا النوع من التأمل جو مكة وما تتركه من رهبة فى القلوب، خاصة إذا خلى الإنسان وعالمه الطبيعى الموحش من الجبال وما حولها، وما تثيره فى النفوس من حالات الهلع والتأمل الذاتى.

وعلى مثل هذا النحو من الفهم، عن الرسول صلى الله عليه وسلم. كان موقف المستشرقين من النبى فهم ينكرون رسالته جملة

وتفصيلاً، وهذا بالطبسع سوف ينسحب على موقفهم من القرآن الكريم ومن مصدره الإلهى.

يقول غوستاف لوبون : يجب اعتبار محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسى الديانات ولا تعجب لذلك، فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤون الديانات، ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول.. وقادوا البشرية.

ولقد وضع هذا المستشرق كتابه عن "حضارة العرب" وصرح فيه بآراء وأفكار تدل على جهله بالوحى والنبوة وطبيعة الحضارة الإسلامية، وبطبيعة الحياة الخاصة للرسل فهو يتهمه بالشهوانية فى حياته الزوجية، ويرتب على هذا الإتهام مجموعة من الأحكام التى تدل على جهله بخصوصيات الرسول ويجعل القرآن دليلاً على عبقرية الرسول وإبداعه أو يضعه فى مكانه أدنى من كتب الهندوس الدينية، ويرى أنه كتاب مؤقت بعصره لا يحقق حاجات الناس فى عصور لاحقة بل يجعله السبب فى تخلف المسلمين.

د- أما جولد تسيهر فقد وضع كتابه عن "مذاهب التفسير الإسلامى" ونسب فيه المعرفة التى تلقاها محمد عن مصدرين إذ يقول: فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التى تأثر بها تأثراً عميقاً والتى رآها جديرة بأن توقظ فى بنى وطنه عاطفة

دينية صادقة، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجبينة، كانت فى وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة فى اتجاه يريده الله؛ ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً عميقاً، وأدركها بإيحاء التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إليهاً.

هـ- ويسير فى نفس الاتجاه "بلاشير" فى كتابه : "معضلة محمد" حيث يرى أن التشابه الواقع بين قصص القرآن وقصص التوراة والانجيل كان سبباً فى القول بأن محمداً أخذ القرآن عن هذين المصدرين.

و- أما نيكلسون فقد ركز اهتمامه على دراسة التصوف الإسلامى ليثبت به أن محمداً صلى الله عليه وسلم، أخذ القرآن عن مصادر متعددة، لكن أهمها هى المسيحية، ويتهم القرآن بالتناقض والتضارب الذى لم يستطع أهل مكة اكتشاف ما فيه من تناقض لسذاجتهم وعدم قدرتهم، يقول نيكلسون: والقارئون للقرآن من الأوربيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه وهو محمد، وعدم تماسكه فى معالجة كبار المعضلات، وهو نفسه – محمد – لم يكن على علم بهذه المعضلات، كما لم تكن حجر عثرة فى سبيل صحابته، الذين تقبل ايمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله، كما يتهم الرسول فى هذا الكتاب – الصوفية فى الإسلام- بأنه حرف النصرانية وأساء فهمها.

هذه هى نظرة المستشرقين للقرآن من ناحية مصدره، فالقرآن عندهم ليس إلهياً ولا ربانياً، وإنما هو بشرى من صنع محمد، وإن ما جاء فيه من قصص توافق ما جاء فى التوراه والإنجيل فإنه قد أخذها عن هذين المصدرين بتحريف وإساءة فهم.

ومعلوم لدى كل مسلم أن الإيمان بالقرآن وأنه كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود أصل من أصول الاعتقاد، ولا ريب فى ذلك لدى كل مسلم، وأنه بلفظه ومعناه من الله، نزل به الروح الأمين على قلب النبى حسب الحوادث وما تحتاجه من حلول لما أشكل فيها.

مناقشة هذه الآراء :

أولاً : ليست الدعاوى التى يفتريها المستشرقون فى حق نبى الإسلام وفى حق القرآن الكريم بجديدة على المثقف المسلم، ولا أريد فى هذه الدراسة الموجزة أن أتعرض بالرد التفصيلى على ما أثاره المستشرقون من شبهات وشكوك حول الإسلام، كما أن المعاندة أو المجادلة بقصد الغلبة ليست هدفا مقصوداً لنا فى هذه الدراسة، لأن ديننا ونبينا الذى يفترون عليه كذباً وبهتاناً ينهون عن ذلك، ويأمرون أن نقول للناس حسنى، وألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن، وأن نؤمن بأن الأنبياء جميعاً دينهم واحد وأمهاتهم شتى كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا فإننا ننبه إلى عقيدة كل مسلم فى نبى الله عيسى وموسى وجميع الأنبياء، فينبغى ألا نقول فى حق نبى الله عيسى إلا كما قال القرآن الكريم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران : ٥٩)

ولا نتكلم فى حقه عليه السلام بأفضل مما تكلم هو فى حق نفسه حيث قال :

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

(سورة مريم : ٣٠-٣٣)

وأنه ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى﴾ (النساء : ١٧١)

وأنه ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾(النساء:١٧٢)

هذه هى عقيدة المسلمين فى نبى الله عيسى، وكذلك يؤمن المسلمون بأن ما نزل على عيسى من ربه هو الحق. ولا نقول فى حقه الا كما قال القرآن على لسان عيسى حين قال : إنى عبدالله أتانى الكتاب ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران : ٤٨) وأن هذا الكتاب الذى أنزل على عيسى قد صدقه القرآن وبين أنه وقع فيه التحريف على أيدى النصارى، وأن الكتب التى بأيدى النصارى اليوم وما يتعبدون به لا تمت بسبب إلى الكتاب الذى نزل على عيسى عليه السلام، وسوف نبين ذلك بالبراهين القاطعة فيما بعد.

وكذلك يعتقد جميع المسلمين بعفاف مريم وطهارتها. وأنها صديقة أصطفاها الله تعالى كما قال ربنا ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران : ٤٢)

وكما قال تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم : ١٢)

هذا هو اعتقاد كل مسلم فى حق عيسى فى حق وأمه البتول الطاهرة. وفى حق الكتاب الذى أنزل عليه. ولا يصح إيمان المسلم إلا بذلك. وأن الكتاب الذى أنزل على عيسى جاء مبشراً برسول يأتى من بعده أسمه أحمد. وأن هذا النبى قد ذكرته التوراه بأسمه صراحة وأن الإنجيل قد ذكره بوصفه فى أكثر من موضع.

هذه أصول اعتقادية يؤمن بها كل مسلم ولا يفرق فى ذلك بين أحد من أنبياء الله ورسله. ولا يقبل من المسلم إيمانه إلا بذلك.

ونحن كمسلمين يفرض علينا ديننا أن نعلن براءتنا مما افتراه اليهود فى حق عيسى عليه السلام، ونعلن براءتنا مما افرته اليهود فى حق أمة مريم وأن اتهام اليهود لمريم بهتان عظيم نبراً إلى الله منه لأن الله قد طهرها، وأصطفاها على نساء العالمين، والإيمان بطهارتها وعفتها عقيدة اسلامية.

وبعد هذه الأصول الاعتقادية التى كان لابد من بيانها. أرى ضرورياً أن نضع أمام طلبة العلم الأصول الوثنية التى انحرفت إليها

أناجيل النصارى لنبين أن مـانزل علـى عيسـى بـن مريـم شـىء، وأن مايدين به النصارى اليوم شئ آخر، فـإن مـا نـزل علـى عيسى عليـه السلام هو الحق من ربه، وما يتعبد بـه النصـارى اليـوم لـم يـنزل بـه وحى ولم ينطق به نبى وإنما هو من تحريـف علمـائهم وأن الطقـوس والشعائر التى يتعبدون بها الآن انما هى مـن تـراث الوثنيـات السـابقة على النصرانية المعاصرة لها. وقد نبه إلى ذلك مفكرون كبـار أمثـال الإمام ابن تيمية فـى كتابـه الجـواب الصحيـح لمـن بـدل ديـن المسيح وتلميذه ابن القيم فى كتابه هداية الحيارى فى الرد على النصارى.

كما ألف بعض المهتدين مـن النصـارى مؤلفـات مسـتقلة نذكـر منهم فى هذا المقام محمد بن طاهر البيروتى فى كتابه العقائد الوثنيـة فى الديانة النصرانية "الذى طبع أكثر من مرة"[1] .

وجاء الفصل السابع مـن هذا الكتـاب كـاملا فـى المقارنـة بيـن النصـوص التـى تصـور عقيـدة الهنـود فـى بـوذا وكريشـنا وعقيـدة النصارى فى عيسى عليه السلام وأوضح أن ما يقول به النصارى فى حق عيسى عليه السلام من أنه الله، أو ابـن اللـه، أوثـالث ثلاثـة. وأن عقيدة التعميد والعشاء الأخير وغيرها من عقائد النصارى مأخوذة من العقائد الوثنية السابقة على عقيدة النصارى، ولابد أن نشيرها هنا إلـى جهود علمائنا السابقين أمثال ابن حزم فـى كتابـه العظيـم "الفصـل فـى الملل والنحل" وابن تيمية فى الجواب الصحيح. وما كتبه القرافـى فـى

(١) طبعه أخيرا زميلنا الفاضل أ. د/ محمد الشرقاوى طبعة محققة ومنضبطة.

كتابه "الاجوبة الفاخرة" وابن القيم فى هداية النصارى. وغيرهم. من العلماء الذين أسسو فى ذلك منهجا مستقبلا فى البحث هو منهج النقد الداخلى للنص فدرسوا نصوص الأناجيل دراسة نقدية وبينوا ما فى هذه الأناجيل من تناقض يفضح تزييفها وتحريفها مما ينأى بها أن تكون هى مما نزل على عيسى عليه السلام وإنما هى بقايا من وثنيات الأديان السابقة.

وأن الصليبية المعاصرة لاتمت إلى روح الديانة النصرانية بسبب لا من قريب ولا من بعيد، فالصليبية شىء وروح النصرانية التى بشر بها عيسى بن مريم شئ آخر، فالصليبية حقد وكراهية والنصرانية حب ورحمة، والصليبية استكبار وفساد وسفك للدماء. والنصرانية التى جاء بها عيسى عليه السلام. ود وتراحم وتواضع. كما قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
(المائدة : ٨٢)

وسوف آضع بين يدى القارئ أعتقاد الوثنيين فى بوذا وفى كريشنا وأعتقاد النصارى فى عيسى عليه السلام ليعرف القارئ مدى التحريف الذى أصاب النصرانية وأن عقيدتهم فى أصولها وفروعها مأخوذة من الوثنيات السابقة وأنها لا تمت بسبب إلى ما نزل على عيسى عليه السلام.



أولاً : عقيدة الهنود فى كريشنا :

كريشنا هو المخلص والفادى والراعى وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الأب والابن والروح القدس.

كان كريشنا من سلاله ملوكانية ولكنه ولد فى غار يحال الذل والفقر.

عرف الناس ولادة كريشنا من نجمه الذى ظهر فى السماء.

لما ولد كريشنا سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت السماء فرحا وطربا ورتل السحاب بأنغام مطربة.

ومات كريشنا ثم قام من بين الأموات كريشنا الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شىء كريشنا هو براهما العظيم القدوس بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.

ثانياً : عقيدة البوذية :

كان يجد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.

ولد بوذا ابن العذراء مايا التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (٢٥ كانون الأول) وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه نجم المسيح.

لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد.

بوذا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء.

وقد عمد بوذا المخلص وحين عمادته بالماء كانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل روح القدس الذى فى سارا تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله.

عقيدة النصارى فى عيسى :

يسوع هو المخلص والفادى والمفدى والراعى وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الأب والابن والروح القدس كان يسوع من سلاله ملوكانية ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار (انجيل مريم).

كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.

ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم الميلاد.

وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس قبل ولادته.

لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحا وسرورا وظهر من السحاب انغام مطربه لله المجد فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسره.

ومات يسوع ثم قام من بين الأموات يسوع الألف والياء والوسط وهو آخر كل شئ.

يسوع هو مهده العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر من أسراره العظيمة الإلهية ويوحنا عمَّد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة، وهو لم يكن الإله العيظم بل والروح القدس الذى تم تجسده عندما حل على العذراء، مريم فهو الأب والابن والروح القدس.

وقال يسوع .. لا تظن انىجئت لأنقض الناموس.. ما جئت لأنقض بل لأكمل [1] .

وعلى القارئ أن يقارن بين هذه العقائد الثلاثة – عقيدة الهنود فى بوذا وفى كريشنا وعقيدة النصارى فى عيسى عليه السلام – ليدرك التحريف الكبير الذى أصاب المسيحية من الوثنيات السابقة.

ومن يقرأ نصوص المستشرقين وأقوالهم عن القرآن، ودعوى أنه بشرى لمصدر، ويقارن بين هذه الاتهامات وما حكاه القرآن الكريم عند مشركى مكة قديماً، وعن موقفهم من الرسول والقرآن لا يجد شيئا جديداً عند المستشرقين، فإن رأيهم ودعواهم فى القرآن قد سبق إليها مشركو مكة وأهل الكتاب فى المدينة، ولقد بلغ حرص النصارى على هذه الاتهامات وتكرارها من جيل إلى جيل أن بعضهم

---

(١) راجع هذه الأقتبسات كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية تأليف محمد بن طاهر البيرونى ص١٨٥-٢٠٠ وبعدها.

قد أفردها بمؤلفات مستقلة، كما فعل يوحنا الدمشقى وبولص الأنطاكى فى رسائله عن النصرانية والإسلام.

وقديما قال المشركون عن القرآن : ﴿إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر : ٢٤،٢٥)

وقالوا عنه : ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان : ٥)

وقال عن الرسول : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل : ١٠٣)

وقالوا له : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ﴾

(الحجر:٦)

وقالوا له : لست مرسلاً .. وقالوا غير ذلك الكثير عن القرآن وعن الرسول مما حكاه القرآن عنهم، فلا غرابة – إذن – أن تتردد هذه الاتهامات على ألسنة أحفادهم فى كل جيل من المستشرقين والمبشرين بالنصرانية ومن دار فى فلكهم من أبناء ملتنا.

وكذلك الذين اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنه عبقرى أو أحد العظماء العشرة فى العالم، أو أنه طالب رياسة وزعامة، أو مصلح اجتماعى.. أو ... أو ، ولانجد لديهم جديداً عما حكاه القرآن عن أهل الكتاب بالمدينة أو مشركى مكة، ولا يتسع المقام لتفصيل القول فى ذلك لكن نوّد الإشارة إلى أمور :

أولاً : لقد قال المشركون عنه : إنه مّعلم، وشاعر، وساحر، وأن القرآن أفك افتراه، ولعل مجيء القرآن مشتملاً على هذه الاتهامات - ذاكراً لها - أكبر دليل على أن القرآن الكريم ليس من عند محمد ولا من بنات أفكاره.

فإن من له صلة بالقرآن وتلاوته يدرك تماماً سقوط هذه الدعاوى الظالمة ويعلم يقيناً أن القرآن كان أميناً فى عرض هذه الإتهامات على ألسنة المشركين وأميناً فى الاحتفاظ بها تتلى ضمن آياته، ويتعبد بها المسلم كما يتعبد بتلاوة غيرها من الآيات. ليكون القرآن نفسه حاملاً معه أدلة نفى هذه الإتهامات الكاذبة، وحاملاً معه دلائل مصدره الإلهى، فإن من له حظ من العقل والحكمة يعلم تماماً أن هذا القرا لو كان من عند محمد لجاء خالياً تماماً من ذكر هذه الإتهامات الموجهة إليه، ولكان أولى له أن يأتى بشهادات تأييده وصدقه، بدلاً من ذكر الإتهامات التى وجهها المشركون إليه فى أول عهدهم بالدعوة، إن تسجيل القرآن الكريم لهذه الاتهامات يدل على أمرين مهمين جداً فى شأن الدعوة الإسلامية.

الأمر الأول : دلالته على صدق النبى وأمانته فى النقل عن ربه، لأنه ليس من صالح أصحاب الرسالات أن ينقلوا إلينا هذه الإتهامات التى تحمل معنى التكذيب والإفتراء، بل كان الأولى بهم لو لم يكونوا رسلاً صادقين أن يخفوا ذلك تماماً عن الاتباع، ولجاءوا بدلاً منها بشهادات تأييد وتصديق، كما يحدث فى عهدنا هذا فى كثير

من المناسبات، ولكنهم الرسل، وحاشا لواحد منهم أن يكون غير ذلك فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

أما الأمر الثانى : فهو دلالة هذا النص القرآنى على ألوهية مصدره ودلالته على أنه من عند الله وليس من قول البشر، والذى له صلة بالقرآن يعلم تماماً أن ذلك هو حق اليقين.

ثانياً : إن القرآن يشتمل على كثير من مواقف اللوم والعتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك فى أمور كان يتصرف فيها الرسول من واقع بشريته الخالصة، فكان ينزل القرآن معاتباً للرسول على ما فعل، حدث ذلك فى موقفه صلى الله عليه وسلم مع ابن أم مكتوم، حين أنصرف عنه الرسول إلى غيره فنزل قوله تعالى : ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾.. إلخ الآيات

(عبس ١-٤)

وحدث ذلك فى شأن أسرى بدر، حين أوشك الرسول أن يأخذ الفدية من الأسرى ويطلق سراحهم، فنزل الوحى مخالفاً لرأى الرسول ومعاتباً له بقوله : ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾

(الأنفال : ٦٧)

وجاء مثل ذلك فى سورة الكهف حين اهتم الرسول ببعض وجهاء مكة أملاً فى إسلامهم وأعرض عن بعض أتباعه فنزل قوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف : ٢٨)

وحدث نظير ذلك فى مواقف عديدة ذكرها القرآن الكريم حين قالت قريش للرسول أقبل على بعض أمرنا ونحن نقبل على بعض أمرك، فنزل قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (سورة الإسراء : ٧٣: ٧٤)

ونظائر ذلك فى القرآن كثير يتلوها المسلم ويتعبد بها كما يتعبد بتلاوة الأوامر والنواهى، فهل يكون ذلك اللوم وذلك العتاب من عند محمد؟.. أليس من الأولى لو كان القرآن من عند محمد كما زعموا أن يكون خالياً من مثل ذلك اللوم الموجه إلى شخصه، وهل يكون القرآن من عند محمد ويكون مشتملا على مثل قوله تعالى : ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ إن القرآن نفسه قد احتوى على ألوهية مصدره كجزء ذاتى فيه وليس خارجاً عنه من ذلك مثلاً:

١- ما أشرنا إليه آنفاً وهو إشارته لمواقف العتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمور التي كاد يتصرف فيها بمقتضى بشريته، والتي ذكرنا أمثلة منها.

٢- إشارته إلى مواقف المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لألوهية مصدره ودعواهم أنه من عند محمد تارة أو أنه قد أتخذه من أهل الكتاب أو.. أو.. الخ.

٣- إشارته إلى اتهام المشركين لمحمد بأنه (ساحر أو شاعر أو معلم أو مجنون) إذ كان من عند محمد لما جاء مشتملاً على هذه الاتهامات، وكان أولى به أن يأتي بشهادات تؤيد صدقه.

وينبغي أن نعلم أن القرآن الكريم عندما ذكر هذه الإشارات لم يذكرها إلا مقرونة بدليل إبطالها وبيان فسادها، فأحياناً يذكر الفرية ثم يتبعها بقوله : إن يتبعون إلا الظن، لينفي أن يكون معهم دليل على كذبهم كما في قوله : قل هاتوا برهانكم. وقوله إن عنكم من سلطان بهذا.. إلخ، ليبين أن كلامهم متهافت في ميزان المنطق لافتقاده دليل صدقه. وأحياناً يذكر الفرية ثم يتبعها بالقضية الجازمة بأن القرآن من عند الله. كما في قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الفرقان:٦) وأحيانا ينفي عنهم صفة العلم أصلاً بمستوياته المختلفة كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل : ١٠١) ولعل القرآن كان يلفت نظر المسلمين إلى جنس هذه الافتراءات وأن أدعياءها لا يملكون دليلاً

على صحة دعواهم وإن هى إلا ظنون ووأوهام أنبتتها بذور الحقد والكراهية لهذا الدين ولنبيه.

ثالثاً : ومن معجزات القرآن الكبرى أنه صالح لكل زمان ومكان وأن أدلته وبراهينه التى تحدى بها كفار مكة وأهل الكتاب فى المدينة هى بعينها مازالت مصدراً للتحدى لكبار المستشرقين ومن سار فى فلكهم، ذلك أن أهل الكتاب بالمدينة وقبلهم مشركو مكة لما قالوا إن القرآن من عند محمد وأنه إفك افتراه، تحداهم القرآن على لسان الرسول بحجة سهلة وميسورة لكل عربى، فقال لهم : إذا كنتم عرباً ومحمد عربى مثلكم وقد أتى بهذا القرآن من عند نفسه، فأتوا بآية من مثله، أو بسورة، أو بعض سور مثله مفتريات، وهذه حجة فى غاية الإقناع والإفحام فى نفس الوقت أنها ملزمة للخصم فهو إما أن يأتى بمثل القرآن إن كان بشرياً تصديقاً لدعواه، أو يسلم بانه من عند الله فيؤمن به. فإذا أصر على موقفه بعد ذلك فإنه بذلك يكون خارجاً عن مجال الحوار العلمى إلى مجال العناد والاستكبار، وهذا هو شأن المشركين قديماً والمستشرقين حديثاً، كما قال القرآن حاكياً عنهم، ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾. (الأنعام : ٣٣)

ومن تمام نعم الله على عباده ومن كمال حجته على خلقه، أن ايات النبوة وبراهين الرسالة الخاتمة معلومة لكل الخلق، وفى اسطاعتهم العلم بها، وقد يكون عند بعضهم من دلائل نبوته ما لايوجد

عند البعض الآخر، وقد يظهر لكل قوم من الآيات والدلائل النفسية والأفقية ما يتبين به أن القرآن حق، وإذا ظهرت هذه الدلائل ووضحت وأعرض الإنسان عنها أو أعرض عن النظر الحق الموجب للعلم بها، كان موقفه عناداً واستكباراً، وكان فى شقاق مع الله ورسوله.

ثالثاً : والله تعالى قد شهد للقرآن بنفسه تارة وبملائكته تارة، وبآياته البينات تارة، وأخبر عن هذا القرآن بقوله : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الاسراء : ٨٨)، وقد أخبر الرسول بذلك فى أول أمر الدعوة فى مكة، وأخبار الرسول عن هذا وبهذا النفى العام الشامل للإنس والجن فيه آيات لنبوته. لأن مثل هذا الخبر، لا يقدم عليه من يريد من الناس أن يصدقوه، إلا وهو واثق كل الثقة أن الأمر كذلك فى نفسه، ولو كان عنده شك فى ذلك لجاز أن يظهر كذبه فى هذا الخبر، ويفسد عليه قصده، وهذا لا يقدم عليه حكيم ولا عاقل.

رابعاً : ولم يثبت أن واحداً من العرب عارض القرآن، والذى حاول ذلك منهم أتى بأشياء فضحت أمره بين قومه، ومعلوم أن توفر الدواعى المعارضة للقرآن كانت موجودة لدى المشركين، ولما عجزوا عن معارضته مع توفر الدواعى عندهم، ومع الحرص الشديد على محاربته وإبطاله بكل وسيلة ممكنة، دل ذلك على

العجز المطلق، وهذا فى حد ذاته برهان تام على صدق القرآن، وصدق أنه آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه آية ظاهرة وباقية إلى يوم القيامة، وليس القصد هنا الحديث عن إعجاز القرآن، فإن ذلك له مجال آخر، ولكن الذى أود الإشارة اليه أن دلائل ألوهية المصدر القرآنى متنوعه ومتعددة وكلها من أوجه إعجاز القرآن وكل وجه منها دليل على صدق النبى، وفى نفس الوقت دليل على أن القرآن من عند الله، ولما قص القرآن علينا موقف مشركى مكة ودعواهم الكاذبة فى أن القرآن من عند محمد قال لهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (سورة هود : ١٤:١٤) وقال سبحانه : ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء : ١٦٦) أى كفاك يا محمد أن الله وملائكته يشهدون بما أنزل إليك ثم أعاد التحدى فى المدينة مع أهل الكتاب بعد الهجرة، فقال فى سورة البقرة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم قال ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٣:٢٤) فدلت الآية على أمرين الأول : قوله ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ يعنى إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق، وينبغى أن تعترفوا بذلك وتؤمنوا به.

الثانى : قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ولن تفيد تأكيد النفى فى المستقبل فثبت، بالخبر أن البشر لن يأتوا بمثله فيما يستقبل من الزمن، فكان القرآن بذلك قد أخبر بعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو تعاون على ذلك أهل الأرض قاطبة.

وكان الكفار فى مكة من أحرص الناس على إبطاله ومعارضته مجتهدين فى ذلك بكل الوسائل، تارة يسألون أهل الكتاب عن أمور غيبية ليسألوا عنها محمداً ليظهروابذلك عجزه، كما سألوهم عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذى القرنين، وحاولوا أن يخبروا الرسول فى ذلك.

وتارة يجتمعون المرة بعد المرة ليتفقوا على أمر يسألون عنه محمداً بقصد إعجازه، فكان ينزل القرآن بالإجابة الشافية لأمراضهم، فإذا كان هذا شأنهم معه، حرص تام على المعارضة المرة تلو المرة، ولو كانوا قادرين عليها لفعلوها، لأنه إذا وجدت الدواعى التامة وامتنعت الصوارف وكانت القدرة حاصلة، وجب وجود المطلوب، وهذا شأننا مع المستشرقين الآن، وهذا التحدى من أبلغ المواقف القرآنية التى يتحدى بها أهل الأرض قديماً وحديثاً، وكل من ادعى بشرية القرآن فعليه أن يأتى بمثله آيه، أو سورة، أو عشر سور، فإن لم يستطع أحد أن يفعل ذلك فعليه أن يؤمن به، ومعلوم لدى أهل العلم بالقرآن وعلومه أن أوجه الإعجاز القرآنى من جهة معانية، وإخباره

عن الغيوب الماضى منها والمستقبل أكثر من جهة إعجازه اللفظى، ولكن أردنا بذلك أن نضع بين يدى القارئ نماذج منها على وجه التمثيل فقط وليس على وجه الاستقصاء أو الحصر، لأنه من ذا الذى يستطيع حصر أوجه إعجاز القرآن ومن أراد تفصيل القول فى ذلك فليراجع كتب علوم القرآن، كالإتقان فى علوم القرآن للسيوطى أودقائق التفسير لابن تيمية خاصة الجزء الأول منه (مقدمة فى إعجاز القرآن).

خامساً : ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الذين تأملوا القرآن بعين الإنصاف من المستشرقين لم يلبثوا أن أعلنوا إسلامهم واعتناقهم للإسلام ديناً وللقرآن دستوراً، وأعلنوا ندمهم الشديد على ماضى أيامهم التى قضوها على الكفر والعناد، يقول موريس بوكاى الطبيب الفرنسى الذى أسلم وألف كتابه "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" لقد أثارت دهشتى هذه الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن، والتى كانت مطابقة تاماً للمعارف العلمية الحديثة. ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة تماماً من كل حكم سابق وبموضوعية تامة، بيد أنى لا أنكر تأثير التعاليم التى تلقيتها فى شبابى، حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام، وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل، وبالتالى فهو ليس بدين

سماوى فلا قيمة له عند الله، وكان يمكن أن أظل محتفظاً بالكثير من هذه الأفكار الخاطئة عن الإسلام، وهى شديدة الانتشار، ولما تحدثت مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين، عرفت أنى كنت جاهلاً قبل أن تعطى لى صورة صحيحة تختلف عن تلك التى تلقيتها فى الغرب عن الإسلام، وكان هدفى هو قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية.. وأنتهيت إلى دقة الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التى نملكها اليوم، والتى لم يكن لمحمد ولا لأى إنسان فى عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة.. وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية فادحة فإننا لا نجد فى القرآن أى خطأ.. وقد دفعنى ذلك إلى أن أتساءل لو كان مؤلف القرآن إنساناً بشراً فكيف استطاع فى القرن السابع المسيحى أن يكتب ما اتضح اليوم أنه يتفق مع العلم الحديث، ففى مجال القضايا التى تخضع للملاحظة، مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل الموصوفة فى القرآن مع معطيات علم الأجنة "الحديث".

هذه شهادة مستشرق هداه الله للإسلام، لأنه بحث عن الإسلام، وفى الإسلام بمنهج علمى متحرر من العصبية، بروح متجردة إلا من البحث عن الحقيقة، وصدق الله العظيم ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾. (النساء : ٨٢)

٢- حول الفكر الإسلامى وأصالته :

ولقد أثار المستشرقون شبهات أخرى كثيرة حول الإسلام ورسوله وحول العقيدة والوحى، وحول الفلسفة الإسلامية وأصالتها، والتصوف وأصوله، وحول السنة وعلومها.

أ- فالمستشرق "شاخت" وضع كتابه "فى أصول الشريعة المحمدية" ولعله أشهر كتاب له، جعله طعناً فى كتب السنة الصحيحة ومسانيدها، وقال إن الأحاديث الفقهية وغيرها ظهرت فى القرن الثالث الهجرى، وأن الفقه ومسائله لم يظهر فى عصر محمد ولا فى عصر الصحابة، وإنما ظهر بعد هذا الجيل، واستدل بذلك على كذب الأحاديث النبوية، ومع ما فى هذه الدعوى من مغالطات وأكاذيب تاريخية، فإن هذا المستشرق لم يكلف نفسه عناء البحث ليعرف أن أقوال الرسول وأفعاله كانت تقوم بين جيل الصحابة مقام كتب الفقه بين الأجيال المتأخرة فضلاً عن أن أحاديث الفقه كغيرها من الأحاديث الأخرى رواها المحدثون بسندها المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللمحدثين فى ذلك منهج فى التوثيق أفاد منه إلى حد كبير علماء المناهج المعاصرون، ووصفوه بالدقة والموضوعية وقوة الضبط وسلامة النقل وسار على نفس المنهج فى التشكيك فى كتب السنة آخرون أمثال "منتوجمرى واط" المستشرق الإنجليزى، و"مارجليوت" و"جولد تسهير" وغيرهم، والأدلة التى يذكرها الواحد منهم على صحة دعواه تجدها مكررة عند غيره كأنهم قد تواصوا بذلك فيما بينهم وتوارثوها جيلاً بعد جيل.

ب- أما في مجال الفسلفة الإسلامية فقد تواطأ كثير من المستشرقين على أكذوبة أن العقل العربي ليس من طبيعته التفلسف، أو حب الفلسفة، لأنه ساذج بطبعه يميل إلى الأخذ بالجزئيات، ولا يعرف التعامل مع القضايا العامة أو الكلية، صرح بذلك "رينان" في كتابه عن اللغات السامية، و"ديبور" في تاريخه للفلسفة الإسلامية، و"بينز" في كتابه عن "مذهب الذرة عند المسلمين".

يقول ديبور في مقدمة كتابه عن مصادر الفسلفة الإسلامية: لم يكن للعقل السامي قبل اتصاله بالفسلفة اليونانية ثمرات في الفلسفة غير الأحاجي والأمثال والحكم، وكان هذا التفكير يقوم على نظرات في الإنسان ومصيره، واذا عرض للعقل السامي ما يعجز عن إدراكه لم يشق عليه أن يرده إلى إرادة لا تدرك مداها.

جـ- ونفس الفكرة صرح بها رينان قبل ديبور، ولا شك أن هذا الحكم خاطئ من أساسه لأنه يتنبئ فكرة مسبقة، وهي تفوق الجنس الآري على الجنس السامي، فالفلسفة الإسلامية ما دامت تنتمي إلى جنس سامي فهي ليست بأصيلة، ولا تشتمل على عناصر جديدة لأن الأصالة والجدة من خصائص الجنس الآري فقط كما يزعمون، وقد يكون هذا الحكم مدعاة إلى طرح سؤال مهم، وهو إذا كانت هذه الفلسفة ليست أصيلة ولا جديدة وخالية من عنصر الابتكار، فلماذا شغلتم أنفسكم بها إلى هذا الحد الكبير..؟ وإجابة ديبور على ذلك تطلعنا على قضية أهم وأخطر، حين تقرأ قوله: فإن هذا البحث له شأن عظيم إذ يتيح لنا فرصة لمقارنة المدنية

الإسلامية بغيرها من المدنيات، والفسلفة ظاهرة فريدة، نشأت فى بلاد اليونان فى ظروف غير خاضعة لنشأة المدنيات، ولا يمكن تعليلها بأسباب خارجة عنها، إن ذلك يرينا أول محاولة للتغذى بثمرات الفكر اليونانى تغذياً أبعد مدى وأوسع حرية مما كان عليه الأمر فى نشأة العقائد" أن تتبع أفكار اليونان وامتزاجها فى مدنية الشرق الكثيرة العناصر لكثير الفائدة عند ديبور لأنه يجعل ذلك بداية التمدن الحقيقى فى بلاد الشرق، وديبور لم يبحث الفلسفة الإسلامية بهدف بيان أصالتها أو مكانتها فى مسيرة الحياة الفكرية للإنسانية ككل، ولم يكن تأريخه لها لذاتها ولا حباً فيها، ولا حتى بوصفها واسطة بين الفلسفة اليونانية الأوربية الحديثة كما يزعم البعض –لا– لم يكن هذا هدفاً مقصوداً لديبور ولا لغيره ممن أرخو للفلسفة الإسلامية أو كتبوا عنها، مثل هنرى كوربان، وماسينيون، إن ما يهتم به المستشرقون من وراء ذلك التأريخ هو العمل على تكملة وإتمام تاريخ ذلك النهر الفكرى فى أوربا، ذلك النهر الذى بدأه فلاسفة اليونان، ومازال عطاؤه متدفقاً إلى يومنا هذا فى أوربا، فإذا انحرف مسار ذلك النهر عن طريقه الطبيعى، وخرج إلى جنس آخر غير أرى كالجنس العربى مثلاً، فإنما ليأخذ بيد شعوبه إلى مسار المدنية والحضارة، ثم ما يلبث أن تعود مياهه إلى مجراها الطبيعى بأوربا، فدراسة الفلسفة الإسلامى عند المستشرقين يقصدون من ورائها إلى أمور محددة تتصل بحياتهم الفكرية.

١- ذلك أن دراسة الفلسفة الإسلامية تمكنهم أولاً من تتبع دخول أفكار اليونان وتأثيرها فى مدنية الشرق، وهذا يعنى عندهم مواصلة التأثير والعطاء للفلسفة اليونانية، وهى من نتاج الجنس الآرى الأوربى.

٢- ودراستها تمكنهم ثانيا من مقارنة المدنية الإسلامية بالمدنية اليونانية مقارنة توضح لهم بجلاء أن الفلسفة لم تظهر فى المدنية الإسلامية من داخلها وإنما وفدت إليها عندما احتكت بالجنس الآرى، وهذا فى حد ذاته يكون برهاناً لهم على أن الفلسفة اليونانية ظاهرة فريدة خاصة بالجنس الآرى فقط، ولم تظهر خارجه، وبالتالى فهى لا تدين لأية حضارة أخرى سابقة عليها.

٣- ودراستها تمكنهم -ثالثاً- من التعرف على أول محاولة للتأثر بثمرات العقل اليونانى من جهة، ومن الوصول إلى أن هذه الفلسفة ارتبطت بها أول نهضة عربية لبيان فضل الفلسفة (الآرية) على الجنس العربى.

إن هذه الأمور الثلاثة أصبحت مؤكدة لدى دارس الفلسفة الإسلامية من المستشرقين ليؤكدوا بذلك أمرين :

١- فوقية الجنس الآرى على ماعداه من أجناس أخرى.

٢- الإلحاح على فكرة المركزية الأوربية بالنسبة للعالم، فكراً وثقافة وحضارة ومدنية، وهذا ما يهدف إليه ديبور وغيره من المستشرقين، إنهم -إذن- لم يدرسوا الفلسفة الإسلامية لذاتها،

وإنما لإستكمال فهمهم للفلسفة اليونانية وللفكر الأوربى بصفة عامة والقصد من ذلك هو محاولة إقناع العالم بأوربة الفكر الإنسانى كله والقول بأوربة الحضارة الإنسانية بصفة عامة. فعل ذلك "بيتز" فى كتابه مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهند ولقد ظهر هذا الكتاب فى الثلاثينات من هذا القرن وهو يحمل العنوان السابق الذى يدل لأول نظرة على مقصده ومضمونه، ويدور الكتاب فى معظم فقراته على سلب العقلية العربية كل خصائص الأصالة والابتكار لينسبها إما إلى الهند مرة، وإما إلى اليونان فى معظم الأحوال، فهو مرة يرجع أصول مقالات المتكلمين فى الجوهر الفرد إلى أصول هندية، ومرات يرجع أصول رأى الرازى فى نفس المكشلة إلى آراء أفلاطون وديقريطس، وقد يتساءل المرء ولماذا الإصرار على إرجاع كل مصادر القول بالذرة عند علماء الكلام إلى أصل هندى، والجواب أن الهنود ليسوا جنسا سامياً، أما العرب فهم ساميون لا يصلحون للإبتكار، ومعنى هذا أن المستشرقون يقبلون أن يكون للهند مذهب مستقل فى الجوهر الفرد، ولا يرضون ذلك للعرب، وهل تستطيع أن تجد لهذا التحكم من تبرير عقلى سوى التعصب لفكرتهم عن تفوق العقل الآرى على بقية الأجناس، ولخطورة هذه الدعوى أود أن أخصصها بشىء من الرد التفصيلى عن أصالة الفكر الإسلامى واستقلاله عن الفلسفة اليونانية.

الفكر الإسلامى بين الأصالة والتقليد :

إن حياة الأمم وتقدمها رهن بقيمة تراثها وأصالته، فإن الإمة التى لا تراث لها لا ماضى لها ولا تاريخ لها تعتز به، والشعوب التى تعيش بلا تاريخ ليست إلا كتلاً بشرية لا قيمة لها فى ميزان الأمم، والتاريخ فى جوهره ليس إلا تسجيلا أميناً للجهود البشرية المتطورة والمتطلعة نحو الكمال، والأمة العربية أشد الأمم فى هذه الآونة من التاريخ احتياجاً إلى الدفاع عن تراثها وماضيها، ذلك أن الهجمات عليه قوية ومتوالية ومحكمة، ولم نقرأ فى تاريخ الإنسانية كلها أن ثقافة هوجمت بمثل العنف والشراسة اللذين هوجمت بهما الثقافة العربية والإسلامية بصفة خاصة، فمنذ أن فتح الاستعمار أعينه على منطقة الشرق العربى لم تكد تنقطع حملات التشكيك والتشهير بالفكر الإسلامى ورجاله، ذلك أن الثقافة العربية بخصائصها وروحها القوية كانت سياجاً قوياً وحصناً أميناً ضد الغزوات الفكرية التى تعرضت لها هذه المنطقة على مر التاريخ، ولما حل الاستعمار الحديث بهذه المنطقة مع ما تميز به من أساليب استعمارية امتازت بذكائها ودهائها استطاع أن يدخل على المسلم المعاصر ويلبس عليه الأمور من ناحية التشكيك فى أصالة ما لديه من تراث وقيم.

ولقد بدأت هذه الحملات المسعورة على الفكر الإسلامى إبان القرن التاسع عشر حيث أشيع فى تحامق وتعصب أن تعاليم الإسلام

تتنافى مع النظر العقلى الحر، وأنهـا لـم تـأخذ بيد العلم، ولـم تنهض بالفلسفة العقلية ولم تنتج الثقافة الإسلامية إلا انحلالاً موغلاً واسـتبداداً ليس له نهاية. وكان من أخطر هذه الدعـاوى قضيـة المفاضلـة بين الأجناس، ولقد ظهرت هذه القضية فـى القرن التاسع عشر علـى يد الفيلسوف الفرنسـى رينـان فـى كتابـه "تـاريخ اللغـات السـامية" الـذى صرح فيه بأن الجنس السامى أقل ذكـاء ومرتبـة مـن الجنـس الآرى، وأخذت هذه المفاضلة عند رينان تضفى على العـرب أوصافـاً لـم يقم عليها دليل من بحث أو دراسة.

وكذلـك الأمـر بالنسـبة لديبـور فإنـه لا يمـل مــن تكـرار هـذه الدعوى القائلة بأن الفلسفة الإسلامية ليست إلا صورة مشوهة للفلسـفة اليونانية بعد أن امتزجت بآراء الأفلاطونية المدحثة وليس للعرب فــى ذلك فضل يذكر سوى أن نقلـوا علـوم اليونـان وفلسـفتهم إلـى العصـر الوسيط بأوروبا المسيحية.

ونستطيع أن نلخص الدعاوى التى قال بهـا هـذان المستشـرقان حول هذه القضية فى أمور محددة :

١- إن العقلية الآرية أفضل من العقلية السامية.

٢- إن العقلية العربية تنزع بطبعها إلى رؤيـة الأشـياء متبـاعدة فهـى تدرك الجزئيات ولا تدرك الأمور الكلية.

٣- إن الفلسـفة الإسـلامية ليست إلا تكـرارا مشـوهاً لآراء أفلاطــون وأرسطو.

٤- إن العقلية العربية عاجزة عن الابتكار وليس لها فيعالم الفكر من فضل يستحق أن يذكر.

وقد يكون الأمر سهلاً ومقبولاً لو أن هذه الاتهامات كانت قاصرة على المستشرقين وحدهم، إلا أن بعض الدارسين قد أخذ هذه الدعاوى وآمن بها واعتبرها غير قابلة للنقاش أو الرفض.

ولقد تردد صدى هذه الدعاوى فى كثير من المؤلفات الحديثة وعلى صفحات الصحف اليومية والأسبوعية، وهذا فى حد ذاته يعتبر هدفاً مقصوداً لحملات التشكيك الموجهة ضد الثقافة الإسلامية وتراثها، ونود أن ننبه هنا إلى حقيقة مهمة جداً :

إننا لو فتشنا نحن فى الثقافة الغربية وتاريخها وحاولنا أن ننقدها بنفس المقاييس التى تناول بها المستشرقون علماءنا وأسلافنا لما نجا منهم واحد. وهذا أرسطو أعظم فلاسفة اليونان والغرب وقع فى كثير من الأخطاء التى كانت أوروبا تدين بها على أنها مسلمات بديهية حتى اكتشف خطأه فى القرن الخامس عشر، فلقد رفض أرسطو المذهب القائل بأن أصل الوجود هو الذرة وأخذ بنظرية العناصر الأربعة القائلة بأن أصل الأشياء هو الماء -والهواء- والنار والتراب، وهذه النظرية قد رفضها مفكرو اليونان قبل أرسطو لظهور فسادها وقال أرسطو بأن الجسمين المختلفين الثقل إذا سقطا من شاهق فإن سرعتهما فى السقوط تتناسب مع ثقلها تناسباً رأسياً، ومعنى ذلك أننا ألقينا من شاهق حجرين وزن أحدهما كيلو جرام ووزن الآخر

نصف الكيلو، فإن الحجر الأول يصل إلى الأرض في نصف المدة التي يستغرقها الحجر الثاني، وهذا قد ثبت بطلانه كما هو معروف في علوم الطبيعة والرياضيات من قانون الثقل النوعي ومقاومة الماء والهواء للأجسام.

وهذا لايعيب أرسطو، كما لايعيب بعض مفكري الإسلام إذا وقعوا في أخطاء، فإذا أخذ المستشرقون على العرب أخطاء ومآخذ فهذا شيء لم تخل منه أمة من الأمم حتى تخلو منه الأمة العربية، وأما إذا كانت مآخذ المستشرقين على الثقافة العربية بهدف إنكار أصالتها وسلب فضلها على مسار الحضارة الإنسانية، فمن واجبنا أن نكشف النقاب عن جهود علمائنا وعن فضل الثقافة العربية على النهضة الحديثة، وسوف تكون هذه الدعاوى التي وجهها المستشرقون إلى الثقافة العربية هي مدخلنا إلى توضيح ما للفكر الإسلامي من أصالة وما له من دور هام في حمل لواء الحضارة الإنسانية في وقت كانت أوروبا منغمسة في جهالة القرون الوسطى مكبلة بقيود التقليد الأعمى للحضارات السابقة.

الرد على "رينان" :

أولاً : أما عن قول رينان بأن العقلية العربية أقل شأناً من العقلية الآرية فهذه دعوى تفتقر إلى الدليل البرهاني، ولا يملك رينان في دعواه هذه إلا التعصب للجنس والثقافة، وما أشبه هذه الدعوى بأكذوبة إسرائيل في وقتنا الحاضر بأنهم شعب الله

المختار الذى يجب أن يسود العالم، ولعل هذه الدعوى الأخيرة امتداد لسابقتها، وما أسهل على المرء أن يرسل الدعاوى العامة على علاتها بلا دليل لكى ينفس بها عن رغبة ملحة أو هوى مكبوت، والمنهج العلمى الصحيح يرفض تماماً أمثال هذه الدعاوى، ومن الخطأ الفاحش أن يظن رينان أن الفلسفة الإسلامية وليدة الفكر العربى وحده، أو العقلية العربية وحدها. فلقد أسهم فيها مفكرون من شعوب أخرى مختلفة الجنس واللون من فرس وهنود وأتراك وسوريين ومصريين وبربر وأندلسيين.

ثانياً : الاسلام قد حث أبناءه على المعرفة وطلب العلم ولم يقف فى وجه طالب العلم أيا كان هذا العلم -عكس دعوى رينان- بل إن الإسلام جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقال لأبنائه اطلبوا العلم ولو بالصين، وكلمة العلم ينبغى أن تفهم هنا بمعناه العام المطلق الذى يشمل العلم الدينى والدنيوى معاً، وليس كما يدعيه بعض الباحثين بأن الإسلام لا يعرف العلم، إلا بالمعنى الدينى فقط، ولو كان المراد بالعلم هنا معناه العلم الدينى فقط، لما حثهم الرسول على الترحال فى طلبه إلى الصين فى الوقت الذى كان هو موجوداً بين أظهرهم وهو مصدر كل علم دينى للمسلمين.

ثالثاً : وإذا كان الجزء الأول من دعوى رينان يدل على تعصبه لجنسه فإن الجزء الأخير من هذه الدعاوى يدل على جهله بروح الإسلام وموقفه من العلم والنظر والتأمل الفكرى المنزه عن

الهوى والغرض إلا لطلبه الحق، فما كان الإسلام – وكتابه المقدس يدعو إلى التأمل فى آفاق السموات والأرض ليضيق الخناق على أبنائه ويمنعهم من النظر والتأمل فى هذا الكون وما فيه من آيات.

رابعاً : على أن رينان قد تناقض مع نفسه فى موقفه من الفكر الإسلامى، فهو حين ينكر الفلسفة الإسلامية ويجحد أصالتها فى كتابه تاريخ اللغات السامية يعود فى كتابه عن ابن رشد ومذهبه فيقرر أن هناك فلسفة إسلامية مستقلة يجب أن نتلمسها فى مظانها الخاصة بها، وأن العرب قد عرفوا كيف يخلقون لأنفسهم فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة بهم، وإن الحركة الفلسفة الحقيقية فى الإسلام ينبغى أن تتلمس فى مذاهب المتكلمين، وهذا الموقف المضطرب إن دل على شئ فإنما يدل على أن أحكام رينان على الفلسفة الإسلامية ليست مؤسسة على النظرة العلمية النزيهة، ولا على معرفة تامة بالفسلفة الإسلامية وتراثها.

خامساً : وأما اتهام رينان وديبور للتفكير العربى، بأنه يهتم بالجزئيات المتباعدة فذلك شئ ينبغى أن يحمد للعرب كما قال بذلك استاذنا المرحوم محمود قاسم، لأن المنهج العلمى الحديث يقوم أساساً على خطوات محددة، وأول هذه الخطوات هى ما يسمى بمرحلة البحث، وفيها يقوم الباحث بجمع الملاحظات والتجارب فى العلوم الطبيعية والإنسانية على سواء، وجمع الملاحظات ليس إلا ملاحظة الأشياء الجزئية المتباعدة، ثم يحاول الباحث أن يربط بين هذه الملاحظات الفردية بما يتخيله من علاقات

١- فى العلوم الرياضية :

إن تاريخ الرياضيات المعاصر ة يدين بالفضل إلى حد كبير لتراث العرب وما خلفوه من مؤلفات فى هذا العلم ظلت حبيسة المكتبات والمتاحف وفى بطون المخطوطات إلى وقت قريب، وللأسف الشديد فقد اهتم غير المسلمين وغير العرب بهذا التراث ونفضوا عنه غبار الزمن وفتحوا له صدورهم وعقولهم وأنشأوا لإحيائه المؤسسات والمراكز البحثية ورصدوا لطباعته ونشره الميزانيات الضخمة، بل إن العرب والمسلمين لم يعرفوا قيمة هذا التراث إلا بعد أن وقف الغرب على نشره وتحقيقه الجهود الكبيرة، ولعل من أكبر المهتمين بإبراز دور العرب فى النهضة العلمية فى أوربا "جورج سارتون" فى كتابه "تاريخ العلم"، و"ل ديورانت" فى كتابه "قصة الحضارة"، كما أفرد العالم الإيطالى "أولدو ميلى Oldo Mieli" مجلداً خاصاً لبيان فضل العرب فى الرياضيات، وكذلك ينبغى ألا ننكر فضل "يوسكوفيتش" فى كتابه "تاريخ الرياضيات" حيث عقد فصللاً خاصاً أسماه الرياضيات العربية.

ولقد اطلع العرب على علوم الأمم الأخرى حيث امتزجت الحضارة الإسلامية بالحضارات المجاورة للأمم الأخرى فى الهند وفارس وصارت بغداد بوتقة انصهرت فيها هذه الحضارات فى مدرستى الكوفة، والبصرة، وفى بغداد العاصمة التى تأسست فيها مدرسة رياضية كبيرة تمت فيها ترجمة رياضيات "أرشميدس" و"بطليموس"، وانتقلت إليها نظريات "فيثاغورس" فى الهندسة.

عليه فى رأيه حول طبيعة النفس وجوهرها، كما أن ابن رشد قد رد كثيراً من أقوال أرسطو فى المنطق وطبيعة النفس، وألف ابن تيمية كتاباً مستقلاً عن نقض منطق أرسطو بين فيه تهافت هذا المنطق عن تحصيل الجديد من العلوم، ولا شك أن نقل العرب هذه العلوم إلى أوروبا كان فاتحة لعصر النهضة الحديثة وهذا فى حد ذاته مجهود كان لابد منه لبعث روح الحضارة التى كانت قد ماتت فى أوروبا، ولقد تصدى للرد على هذه الدعاوى فى القرن التاسع عشر السيد جمال الدين الأفغانى فى كتابه الرد على الدهريين ونشر هذه الرد فى مجلة العروة الوثقى، كما رد عليها أيضاً الإمام محمد عبده فى مجلة المنار، وحين تجددت هذه الدعاوى بعد الحرب العالمية الأولى كتب الشيخ مصطفى عبدالرازق كتابه تمهيد لتاريخ الفلسفة فى الإسلام ناقش فيه هذه الأقوال مناقشة مستفيضة كما تناولها أيضاً كل من الأستاذين الدكتور إبراهيم بيومى مدكور فى كتابه العظيم فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، والدكتور محمود قاسم فى كتابه نظرية المعرفة عند ابن رشد.

جـ- وأما قول ديبور بأن العقل العربى لم يبتكر شيئاً فى مجال الفكر يستحق التسجيل فيكفى لإبطال ذلك أن نورد هنا بعض الأمثلة من مختلف العلوم التى كان للعرب فضل السبق إليها والابتكار فيها، ولن يكون اختياريا لهذه الأمثلة اختياراً عشوائيا وإنما سنورد أمثلة من العلوم التجريبية التى هى بحق مقياس النهضة الأوربية فى عصرنا الحاضر.

وظهر فيه الصفر مرسوماً نقطة كما نرسمه اليوم ظهر سنة ٢٧٤هـ الموافق ٨٧٤م. بينما أول نقش هندى ظهر فيه الصفر يرجع تاريخه إلى سنة ٨٧٦م أى بعد استعمال العرب الصفر فى كتبهم بعامين[٣].

ولاشك أن العالم عرف الأرقام العددية والصفر الهندى عن طريق العرب وليس عن طريق الهنود ولا تزال هذه الأرقام تحمل اسمها العربى إلى اليوم فى أوروبا، وكذلك الصفر فإنه فى الإنجليزية صيفر(Cipher) وفى الألمانية تصفر (Ziffer) وفى الفرنسية شيفر (Chiffre) وفى الايطالية شفرا (Cifra) وبواسطة الصفر أمكن تحديد مراتب الأعداد وقيمتها حسب موضع الصفر منها يميناً أو يساواً، والعرب لم يفهموا الصفر على أنه عدم كما يفهم الناس ذلك خطأ ولا كما فهمه الأوربيون أول أمرهم حين سموه (Nol) ويعنون به العدم بل أن الصفر قيمة ما يطرأ بسببها تبدل أساسى على الأعداد المأخوذة معه حسب موضعه فيها يميناً أو يساراً.

ب- ولقد استطاع غياث الدين الكاشى فى أول القرن التاسع الهجرى أن يستخرج نسبة محيط الدائرة إلى قطرها بصورة أدق مما نعرفه عليها اليوم [٤].

جـ- وأول من ألف فى الجبر هو المفكر العربى "الخوارزمى" صاحب كتاب حساب الجبر والمقابلة. واستطاع أن يحل

---

(٣) نشرة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٦٨م.

(٤) المنطق الحديث د. قاسم ٣٣.

ولم يقف جهد العقل العربي في الرياضيات على مجرد الاختراع فقط بل تعدى ذلك إلى الاختراع والابتكار :

١- الأعداد :

وقف العرب على نظام الأعداد والترقيم للأمم المجاورة واستحسنوا فيها الأرقام الهندية فأخذوا بها وطوروها ونظموا أشكالها حيث لم تكن موحدة بالشكل الذى نعرفه الآن فوحدها العرب وهذبوها وتفرع عنها نوعان من الأرقام عرفت إحداهما بالأرقام الهندية وهى التى يستعملها أكثر شعوب العالم العربى الآن. كما عرفت الثانية بالأرقام الغبارية أو الأرقام "الفاسية" نسبة إلى فاس بالمغرب واشتهرت هذه الأرقام الأخيرة ببلاد المغرب والأندلس ولا زالت تستعمل بها حتى الآن، وهى التى تعرف فى أوروبا بالأرقام العربية، وكان أهم ما فى هذه الأرقام الصفر الذى ساعد على وضع الأرقام فى سلسلة مضاعفات العشرة والمئة والألف. ومن الجدير بالذكر أن كلمة صفر عربية وهى ترجمة للكلمة السنكريتية Sumga وتعنى الفراغ. وأول تمثيل للصفر على شكل نقطة ظهر على قرطاس يرجع تاريخه إلى عام ٨٧٣م[٢]، والصفر لم يكتشف فى الهند إلا فى القرن الثامن الميلادى ونقله العرب عنهم وبدأوا العمل به قبل أن يتقدم الهنود فى استعماله ومن العجيب حقاً أن أول كتاب ألف بالعربية

---

(٢) إسهام علماء الإسلام فى الرياضيات، عبدالله طحطاح، عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ص٢٨٦.

قد راودته فكرة بناء السد العالى للانتفاع بنيل مصر قبل تنفيذ هذه الفكرة بما يزيد على الألف عام.

ومن الذى يستطيع أن ينكر فضل العرب فى الطب بعد أن ذاعت شهرة الأطباء العرب فى أوربا كلها عبر العصور الوسطى، فلقد عرف العرب الطب والتشريح وعلوم الصيدلة فى وقت مبكر من التاريخ ابتداء من الكندى والرازى وعلى بن العباس، كما ظهرت المؤلفات الطبية فى الفكر العربى، أما كتاب القانون لابن سينا فأشهر من أن يشار إليه، فلقد اعتبرته الجامعات الأوربية أهم مرجع فى الطب فى العصور الوسطى، فكان يدرس فى مدارسها وجامعاتها على حد سواء، ولقد ترجمه إلى اللاتينية (جيزار الكريمونى المتوفى سنة ١١٨٧م) فى طليطلة، ولم تكد طبعته اللاتينية تظهر فى حوالى سنة ١٤٧٣م حتى لقى الكتاب شهرة كبيرة فنقل إلى اللهجات المحلية، وأول من اعترف بالقانون كمراجع أساسى فى الطب هى جامعة بولونا فى القرن الثالث عشر للميلاد، حيث أنشئت كلية العلوم فى تلك الجامعة سنة ١٢٦٠م ومنذ لك التاريخ بدأ قانون ابن سينا غزو جامعات أوروبا وإنجلترا واسكتلاندا وأصبح هذا الكتاب يمثل نصف المقررات الطبية فى أواخر القرن الخامس عشر.

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أن مؤلفه قد عرض فيه الكثير من الأمراض ووصف علاجها مع ملاحظات مبتكرة فى تشخيص نوع المرض ووصف العلاج له، ومن ابتكارات ابن سينا فى هذا الكتاب

معادلات من الدرجة الأولى والثانية والثالثة واستطاع عمر الخيام المتوفى ٥١٧هـ حل المعادلات من الدرجة الرابعة وهذا أرقى ما وصل إليه علماء الرياضيات فى عصرنا الحاضر.

د- كما سبق العرب إلى اكتشاف النظرية القائلة بأن مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً وهذا هو أساس النظرية التى اشتهر بها الرياضى الفرنسى "بيبر" المتوفى سنة ١٦٦٥م، وفضل العرب على علم التفاضل والتكامل لا ينكره أحد.

٣- فى العلوم الطبيعية :

اهتم العرب بهذه العلوم فى فترة مبكرة من التاريخ، فلقد اشتغل خالد بن يزيد الملقب بحكيم آل مروان بعلم الكيمياء فى القرن الأول للهجرة وانتدب لذلك جماعة من مدرسة الإسكندرية بمصر سنة ٦٨٣م، وأمر أحدهم وهو اصطفن الإسكندرى بنقل كتب الكيمياء إلى العربية حتى يقف العرب على حقيقتها، ولعل هذه أول ترجمة حدثت فى الإسلام، ثم جاء جابر بن حيان فبلغ فى ذلك شأنا عظيماً، على أن مجهودات البيرونى وابن الهيثم والكندى فى هذه العلوم لا يجهلها أحد من المشتغلين بها، ويكفى أن كتاب "المناظر فى البصريات" لابن الهيثم فى قوانين الضوء يعد جزءاً من العلم الحديث إلى اليوم خاصة إذا علمنا أن كتب ابن الهيثم ترجمت إلى اللاتينية فى زمن متقدم على النهضة الحديثة، ولقد أفاد منه روجر بيكون سنة ١٢٩٢ وجون بكام سنة ١٢٩١هـ ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أن عالماً متقدماً كابن الهيثم

أولاً : أما ابن تيمية فإنه يعكس في تراثه كله العقلية المنهجية بوضوح كامل رغم تشدده مع خصومه من الفلاسفة وعلماء الكلام والصوفية ولقد هاجم هذا المفكر الفلسفة الأرسطية المتمثلة في تراث الفارابي وابن سينا كما هاجم الغزالي والرازي في كثير من كتبه، لكنه كان يعتمد في موقفه من هؤلاء وأولئك على الاستقراء الكامل لرأي مخالفيه في المشاكل الفلسفية المتعددة فيجمع العناصر الفرعية لآرائهم كل على حدة ثم يربط بينها ويستنتج منها الحلول والأحكام التي يصدرها على هؤلاء، وهذا المنهج الذي طبقه ابن تيميه قد هداه إلى اكتشاف أوجه النقص في المنهج اليوناني في منطق أرسطو بالذات، ووضع لكشف أخطاء المنطق الأرسطي كتابين هما "نقض المنطق، والرد على المنطقين" وكشف ابن تيمية في هذين الكتابين عن قواعد منهجية كبرى وجدناها مطبقة لدى مفكري أوروبا في القرن السابع عشرة فمثلاً نقض ابن تيميه الفكرة التي سادت في أوروبا عصوراً طويلة وهي القائلة بأن منطق أرسطو هو الأداة أو المنهج العلمي الذي يجب تحصيله كشرط ضروري لكسب المعرفة في مختلف فروع الدراسة، ويقول ابن تيميه "إن الحاذقين في العلوم الطبيعية والطبية لم يستعينوا بالمنطق وأبو الطب أبقراط له كلام مقبول من جميع الأطباء وقد وجدنا مصداق قوله بالتجارب ومع ذلك لم يستعن بشيء من هذه الصناعة (المنطق).

تعرضه لخصائص العدوى في أمراض الرئة والأمراض التناسلية والاضطرابات العصبية والنفسية عن طريق تحليلاته النفسية التى يعد مذهبه فيها منهجاً قائماً بذاته.

٣- فى مناهج العلوم :

لعل من أحدث الدراسات التى يعنى بها الآن هو دراسة المناهج للعلوم المختلفة وتطبيقاتها، وإذا كان المختصون بدراسة مناهج البحث فى العلوم يولون أهمية كبرى لما يجدونه من تحديد دقيق لهذه المناهج لدى مفكرى أوربا المحدثين فمن الأجدر بهم أن يبحثوا عن أصول لهذه المناهج فى تاريخ الفكر الإسلامى حتى ينسبوا الفضل إلى أهله، ولقد قام المرحوم الدكتور محمود قاسم بإلقاء بحث عن دور العرب فى تحديد مناهج العلوم الإنسانية كشف فيه زيف ما يدعيه المستشرقون من أن العرب ليس لهم فضل يذكر فى هذا المجال.

ولا يستطيع المجال هنا لعرض تفاصيل ما قام به العرب من دور هام فى تحديد مناهج العلوم، لأن هذه المناهج كانت مطبقة فعلاً فى العلوم العربية والإسلامية فالإمام الشافعى قد عرف القياس والاستقراء وطبقهما فى مذهبه الفقهى، وكذا علماء الفقه والأصول واللغة فضلاً عما قام به علماء الحديث فى هذا المجال، ويكفى أن نشير هنا إلى نموذجين مختلفين من مفكرى الإسلام كابن تيمية وابن خلدون لنرى أن عناصر المنهج العلمى الحديث كانت واضحة لديهما تمام الوضوح.

روجر بيكون يدعو معاصريه ألا يصبوا لعناتهم على الرياضة والملاحظة والتجارب بدعوى أنها علوم عربية وإسلامية، بل عليهم أن يفسحوا المجال لها إيماناً منه بأن دلك هو الطريق إلى منهج جديد وروجر بيكون هذا هو الذى لقبه رينان بأنه الأمير الحقيقى للفكر الأوروبى فى القرن الثالث عشر(٥).

ثانياً : أما ابن خلدون فبالإضافة إلى أنه أول من أسس علم الاجتماع على منهج علمى سليم قائم على استقراء أحوال البلاد وظروفها الطبيعية فإنه قد اهتدى إلى أن هناك نوعين من الاستقراء أحدهما فطرى والآخر علمى. وهذه الفكرة وجدناها عند كلودبارنارد فى القرن التاسع عشر وشرح كل من هذين المفكرين لهذين النوعين من الاستقراء يكاد يكون واحداً. فرغم اختلاف الأستقراء الفطرى عن الاستقراء العلمى فى الدرجة إلا أن كلاً منهما طريق صحيح لكسب المعلومات الجديدة التى لا يمكن الوصول إليهما عن طريق القياس اليونانى، وابن خلدون يشرح الاستقراء الفطرى بأنه عبارة عن المعانى التى يستخدمها المرء فى التطبيق العملى دون أن يشعر بها لأنها من المعانى التى اكتسبها عن طريق الخبرة الزمنية، وهذه المعانى لا تبعد عن الشعور ولا يلتفت إليها المرء ليتعمق فيها، يقول ابن خلدون "بل كلها تدرك بالتجربة وبها تستفيد، لأنها

---

(٥) عبقرية العرب : عمر فرج، ص٦٤.

كذلك فطن ابن تيميه إلى أن منطق أرسطو ليس فى الحقيقة إلا تحصيل حاصل بمعنى أنه لا يضيف جديداً من المعارف إلى من يأخذ به، وأحسن ما يقدمه المنطق أنه يستخدم فى عرض المعلومات التى تكون قد اكتسبت بخبرتنا السابقة.

ويقرر ابن تيميه أن علماء الطب والحساب والنحو وأهل العلوم المختلفة لا يستعينون فى مؤلفاتهم بالحدود المنطقية، وأن القياس المنطقى الذى وضعوه وحددوه لا يعلم بمجرده شىء من العلوم الكلية الثابتة فى الخارج وينتهى ابن تيمية إلى تقرير حقيقة منطق أرسطو حين يقول "أما بعد فإنى كنت دائماً أعلم أن المنطق اليونانى لا يحتاج إليه الذكى ولا ينتفع به الغبى، ولكنى كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيته من صدق الكثير منها، ثم تبين لى فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه.

وإذا تركنا موقف ابن تيميه من منطق أرسطو لنرى ما يقول ديكارت فى القرن السابع عشر عن هذا المنطق لم نجد لديه أكثر مما قال ابن تيميه قبل ذلك بثلاثة قرون، لقد قال ديكارت أن القياس يستخدم بالأحرى لكى يفسر المرء للآخرين الأشياء التى يعلمونها بدلاً من أن يكشف لهم عن تلك التى يجهلونها، ولذلك فمن واجب المفكرين أن يقلعوا عن استخدام القياس على النحو الذى كان يفعله أتباع أرسطو حتى القرن السابع عشر أووجست كونت كان يردد فى القرن الماضى ما قاله ابن تيميه عن منطق أرسطو أما فى القرن الثالث عشر الذى كانت علوم العرب تغزو فيه أوروبا فإننا نجد

واحد مثل روجر بيكون فى عصر ما لا يبرئ ذلك العصر من تهمة الجهل "ولقد أبدى بيكون إعجابه فى أكثر من موقف من الرجل الذى يريد أن يبحث فى الفلسفة دون أن يعرف اللغة العربية(٧)، وهذا يعتبر اعترافاً صريحاً من روجر بيكون بقيمة الزاد الحضارى الذى أمكن أن تقدمه هذه اللغة فى تراثها، ولا يخفى أن هذا المفكر نفسه قد أفاد من هذه اللغة وتراثها بحيث أعتبره الأوربيون أباً للفكر الحديث.

٣- بين الاستشراق والاستعمار :

يعتبر الاستشراق من أهم الوسائل التى مهدت للاستعمار العسكرى وغزو الشرق ثقافيها وعسكرياً، والاستعمار الحديث يعتمد على المستشرقين بصورة فعالة فى دراسة نفسية الشعوب، وعاداتها، وتقاليدها، وأفضل الوسائل للسيطرة عليها بأقل قدر ممكن من التكاليف، والذى يتابع أحداث القرن التاسع عشر والقرن العشرين (وهما أكثر القرون فى النشاط الاستعمارى) يعلم مدى الصلة القوية بين الاستعمار والاستشراق، ومن هنا فإننا نجد فى كثير من سفارات الدول الاستعمارية مستشرقين عاملين بها، ويقع على عاتق هؤلاء المستشرين مهمة الاتصال بالعقول المفكرة فى البلاد التى يريدون السيطرة عليها ثقافياً أو عسكريا وكذلك الاتصال بكبار العاملين فى المناصب القيادية فى مجالات الثقافة والإعلام والتعليم العام والجامعى، ولا تنقصهم الوسائل المناسبة فى محاولة احتواء هذه

---

(٧) انظر فروخ ١١٥ Addison, 46 .

معان جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريباً من الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها.

وفى هذا النص نجد أن خطوات المنهج الاستقرائى الفطرى محددة وواضحة حيث يجمع المرء الوقائع الجزئية عن طريق التجارب اليومية ثم يضع فروضاً تكاد تكون غير شعورية ثم يتحقق من صدقها أو كذبها بالواقع.

وما سماه ابن خلدون بالاستقراء الفطرى هو ما أطلق عليه كلود بارتارد بالخبرة العملية غير الشعورية التى يكتسبها المرء بمباشرة الأشياء ومع ذلك فمن الضرورى أن تكون هذه المعرفة المكتسبة بهذا الطريق مصحوبة بتفكير تجريبى غامض يتم بطريقة غير شعورية يقوم بها الإنسان دون أن يدرى، وفرق ابن خلدون بين الاستقراء الفطرى والعلمى، فإن الاستقراء العلمى يتم بطريقة شعورية للوصول إلى غاية محددة، وذلك بأن ينتقل الباحث بطريقة مقصودة من دراسة الأمثلة الجزئية حتى يصل إلى القاعدة العامة.

هذه بعض النماذج التى ذخر الفكر العربى بالكثير منها فى وقت كانت أوروبا تقف فيه من هذا التراث موقف التلميذ المتلقى، ولا أدل على ذلك مما كتب فى دائرة المعارف البريطانية[٦].

لا يستطيع أحد أن ينكر ما اتصف به التفكير الغربى فى العصور الوسط من البعد التام عن العلم وعن النقد. أن وجود شخص

(٦) ج١٧/٤١٠ط١١.

زوجات الرسول.. الخ، ونقلوا إلى العالم الإسلامى مشكلات دخيلة لا وجود لها أصلاً فى الإسلام وإنما هى موجودة فى الغرب بحكم ثقافته وديانته، وشغل المسلمون أنفسهم بهذه المشكلات، وبالبحث عن حلول لها، وكان هذا مجالا واسعاً للفرقة والتعصب والتحزب للرأى ضد الرآى الآخر ومازال المسلمون يكتبون بنار هذه الفرقة إلى الآن.

وكان من الآثار الخطيرة التى ترتبت على إثارة هذه القضايا أن فريقاً كبيراً من المثقفين العرب قد انقادوا وراء هذه الضجة وأخذ البعض يتولى نيابة عن المستشرقين - إثارة هذه الفتن بين صفوف المسلمين، ويتبنى آراءهم ويدعو إلى الأخذ بأفكارهم، وبدلاً من أن يكون الخلاف دائراً بين المسلمين كوحدة متماسكة والمستشرقين كجبهة مضادة انتقلت المعركة إلى أرض المسلمين أنفسهم لتفرق صفوفهم وتمزق وحدتهم، فأصبحوا جبهات متعارضة بين مؤيد ومعارض، بين رافض للفكر الاستشراقى وموقفه من الإسلام، ومؤيد ومبرر له تحت دعوى التنوير والتقدمية، وهذه الفرقة فى الصف الإسلامى هى فى حد ذاتها تمثل هدفاً وغاية سعى المستعمر لتحقيقها خلال جهود المستشرقين فى ذلك، وكان شغل المسلمين بعضهم بعضاً حول هذه الخلافات التافهة واستنفاذ وقتهم وجهدهم فى ذلك وانشغالهم عن قضايا مستقبل أمتهم الذى يعبث غيرهم به كان ذلك كله تحقيقاً لأهداف سعى المستشرقون من ورائها إلى السيطرة على عقول نخبة كبيرة من المشتغلين بالثقافة العربية فى بلادنا واستطاعوا من خلال

الشخصيات عن طريق الصداقة أو المشاركة فى أعمال ثقافية أو تقديم الخبرة لهم، أو.. أو.. إلخ، وعن طريق هذه الشخصيات يستطيعون تنفيذ خططهم فى غزو البلاد فكرياً ثم عسكرياً إذا اقتضى الأمر، وقد استطاع الاستعمار الحديث أن يغزو معظم البلاد الإسلامية فكرياً رثقافياً عن هذا الطريق، كما استطاع أن ينفذ خططه فى السيطرة على عقول كثير من المفكرين فى بلادهم ليكونوا هم الأداة لتنفيذ برامج الاستعمار فى هذه البلاد.

وبلغ الأمر فى ذلك مبلغاً خطيراً، حتى إن كثيراً من المشتغلين بالثقافة جعلوا أنفسهم بمثابة وكلاء عن المستشرقين فى توزيع أفكارهم والدعوة إلى تبنى آرائهم فى الفكر الإسلامى وقضاياه، فهذا مندوب عن ماركس والشيوعية، وذاك مندوب عن الوضعية والوضعيين، وثالثهم مندوب الوجودية والوجوديين، وآخر يدعوا إلى القول بتأنيس الأله أو تأليه الإنسان... إلخ وامتلأت المؤسسات الثقافية فى مصر والشام وشمال أفريقيا بوكلاء معتمدين لتوزيع الفكر الاستشراقى على المؤسسات العربية، وشحذ الوجدان العربى بمفاهيمهم تحت مقولات مضللة كالتنوير والتقدمية والنهضوية .. الخ.

ولقد عمد هؤلاء إلى إثارة الفتنة حول بعض القضايا الخلافية فى الفكر الإلاسمى وعملوا على إحياء الخلافات حولها.

فلقد آثاروا فتنة كبيرة حول ما أسموه بقضايا المرأة فى الإسلام، مثل قضية الطلاق، وتعدد الزوجات والعصمة. وتعدد

ولا يألو سلامة موسى جهداً فى تكرار القول بوجوب محاكاة الحضارة الأوربية حتى نحيا حياة كريمة "إذ لا يمكن لأمة أن تحيا إذا خالفتها.. ولا أستطيع أن أتصور نهضة عصرية لأمة شرقية ما لم تقم على المبادئ الأوربية للحرية والمساواة والدستور مع النظرة العلمية الموضوعية للكون"(١٠).

٢- وكتب قاسم أمين قبل ذلك كتابه عن تحرير المرأة أثار فيه مشكلات لا وجود لها إلا فى ذهن المستشرقين ونادى فيه بوجوب أن تحذو المرأة المسلمة حذو المرأة فى أوروبا وفرنسا بالذات شبراً بشبر، وأن ترفع صوتها رافضة قضية تعدد الزوجات، وحقها فى الطلاق.. الخ.

٣- أما على عبدالرازق، فألف كتابه عن "الإسلام وأصول الحكم" ليعلن فيه أن الإسلام دين لا دولة. عقيدة لا شريعة، وحى لا دستور، وليس فى الإسلام نظام لسياسة الدولة (١١) والكتاب من أوله إلى آخره يعرض الآراء التى استقاها المؤلف من كتابات المستشرقين عن الدين دون أن يدركوا الفوارق الأساسية بين مفهوم كلمة الدين المسيحى كما عاشوه فى أوروبا والدين الإسلامى كما هو فى الكتاب والسنة، وقد آثار هذا الكتاب ضجة كبيرة بين علماء الأزهر الشريف، حيث قرر الأزهر منع تداول الكتاب وعدم طباعته، وفصل صاحبه من سلك القضاء الذى كان يعمل به.

---

(١٠) نفس المرجع السابق، ص٩٠.

(١١) راجع الإلام وأصول الحكم، على عبدالرازق، ص. القاهرة، سنة ١٩٢٥م.

السيطرة على هذه العقول أن ينفثوا سمومهم فى حاضر الثقافة العربية بالتشويه أحياناً وبالتشكيك أحياناً أخرى، وسوف أعرض بإيجاز شديد لبعض النماذج الفكرية التى تبنت هذا الفكر الاستشراقى ودعت إليه.

١- ففى مطلع هذا القرن نادى سلامه موسى بوجوب التخلص من الغيبيات حتى نستطيع أن ننهض كما نهضت أوروبا "..أى النظر إلى هذه النيا كأنها الغاية التى ليس وراءها غاية تخدم، وأننا نحن البشر يجب أن تكون لنا آدب وفلسفات وعلوم لا تمت بأى صلة إلى الغيبيات، إن علينا أن نعتمد على أنفسنا فى تحقيق السعادة على هذه الأرض نفسها وألا نزهد فيها إيثاراً عليها للعالم الثانى كما هى النظرة الغيبية.. والنهضة الأوروبية التى أخرجت أوروبا من ظلمات القرون الوسطى لا تعنى شيئاً آخر غير ذلك"(٨).

ثم يصرح فى موضع آخر بضرورة التخلص من العقائد الدينية والاعتماد كلياً على العقل. ".. إذا ليس فى الكون كله ما يعتمد عليه سوى العقل، وليس للإنسان خلاف هذا العالم عالم آخر يمكنه أن يطمع فى تحقيق سعادته فيه.. وأن الانحطاط لم يعن فى القرون الوسطى. وهو لا يعنى الآن فى الشرق أو الغرب سوى قصر الذهن البشرى على خدمة ما وراء الطبيعة ونشدان السعادة والهناء فى غير هذه الأرض"(٩).

---

(٨) سلامه موسى، ما هى النهضة، ص١٥ بتصرف.
(٩) نفس المرجع، ص١٦.

الغرب الثقافية واكتفى بعضهم بأن يكتب - ساخراً- عن تطبيق الشريعة الإسلامية وتنفيذ الحدود فى السارق والزانى وشارب الخمر، ويقول على سبيل السخرية : من الذى يتولى قطع يد السارق الجزار أم رئيس الجمهورية. وحاولوا من خلال مراكزهم الاجتماعية فى وسائل الإعلام أن يكتبوا المسرحيات والمسلسلات التليفزيونية التى تسخر من رجل الدين ورجال اللغة العربية وتنال منهم كرموز للفكر الإسلامى والقائمين على حراسته، وكم من مسرحيات أو مسلسلات كتبها أصحابها لهذا الغرض وكان أثرها فى نفسية المجتمع أشد وأعظم من وقع الحسام على الرقاب، وترتب على ذلك أن تغيرت نظرة المجتمع إلى معلم الدين ومعلم اللغة العربية وتراجعت مكانة كل منهم عن الصدارة الاجتماعية ليحل محلها الرجل (المودرنيزم) الذى صنعه الاستشراق على عينه وتعهده وكلاء الاستشراق فى بلادنا بالمناصب القيادية المؤثرة فى توجيه الرأى العام فى المجتمع.. ليقول للناس : ما أريكم فى وسائل إعلامكم إلا ما أرى.

ولقد كان للبلاد الإسلامية نصيب موفور فى هذا الشأن، وكانت الوسائل الاستعمارية التى نادى بها الاستشراق فى العالم الإسلامى تهدف كلها إلى إضعاف الروح الإسلامية بين الشعوب، وتعمل على بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد ليسهل بعد ذلك السيطرة عليها، كما روج المستشرقون كذلك لبعض القضايا التى كان لها أخطر النتائج فى ازدياد عوامل الفرقة بين صفوف المسلمين، فمن ذلك مثلاً:

١- العمل على إحلال العاميات محل اللغة الفصحى فى مصر

٤- كما سار على نفس النهج طه حسين فى كتابه عن "الشعر الجاهلى" الذى حاول فيه أن يطبق مقاييس منهج ديكارت فى الشك على نصوص القرآن الكريم، وطبقاً لهذه المقاييس النقدية فإنه لا يكون هناك شيء مقدس فوق النقد ومن خلال تطبيقه لهذا المنهج النقدى، قال بأن قصة إسماعيل الذبيح الذى ينتمى إليه العرب، قصة خيالية حيث "كانت قريش مستعدة لقبول هذه الأسطورة وأمر هذه القصة واضح قبل الإسلام واستغلها الإسلام لسبب دينى وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسى.

كما صرح بما هو أخطر من ذلك حيث يقول : ليس من الممكن أن نصدق أن القرآن كان جديداً كله على العرب، فلو كان كذلك لما فهموه ولما وعوه، ولا آمن بعضهم، ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر"(١٢).

كما صرح طه حسين فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" بضرورة محاكاة الغرب فننام كما ينامون.. ونأكل كما يأكلون، ونتكلم بلغتهم كما يتكلمون. وهذا ما نادى به سلامه موسى وغيره.. وهذه قضية كبيرة لا تحتاج فى مقامنا هذا إلى تفصيل ولكن أردت من ذكر هذه النماذج أن أضعها أمام القراء حتى لا نخدع أنفسنا بشعارات زائفة تحت شعار التنوير والتقدمية.

وهناك نماذج أخرى كثيرة لم يكن لديها قدر كاف من المعرفة الدقيقة بالثقافة الإسلامية وخصائصها لأنه بدأ حياته على موائد

---

(١٢)

على هـذا التخلف الحضـارى إلا أن يتخلصوا من تعـاليم دينهـم أولاً، وأن ينحوا الإسلام بعيداً عن شئون حياتهم اليوميـة، ليكـون قضية شخصية يمارس الإنسان طقوسه وشعائره إذا أراد ذلك فى بيته أو فى المسجد وكفى، ويقارن هؤلاء بين تقدم الغرب وتـأخر الشرق، ويطرحون على الشباب هذه المقارنة الظالمة ليبينوا فيها إن تقدم الغرب كـان سببه هو التخلص مـن الديـن عمومـاً، والتمسك بمنطق العلم فقط، وليس أمام الشرق إلا أن يسلك مسلك الغرب فـى ذلـك لأنـه النمـوذج الأفضل للتقدم ومواكبـة علـوم العصـر وهـذه القضيـة مـن أخطـر القضايـا المطروحـة الآن فـى السـاحة الثقافيـة وهـى بـؤرة الحـوار أو الصـراع بيـن العلمـانيين والإسلاميين.

ولقد جند المستشرقون كثيراً من حملة الأقـلام وسـخروهم للترويج لهذه الأكذوبـة فـى البـلاد الإسـلامية، وأصبـح يتولـى عـبء الدفاع عن هذه القضية –للأسف الشديد– بعض المحترفين للكتابة مـن المسلمين نيابـة عـن الاستعمار، فعل ذلـك بعـض حملـة الأقـلام فـى مصر، والشام، والعراق، وتونس، والجزائر، والمغرب، كمـا شـغلت الدعوة لهذه القضية كثيراً مـن وقت أجهـزة الإعـلام صحافـة وإذاعـة وتلفازاً، وعقدت من أجلها الندوات، وأقيمت المؤتمرات والمنـاظرات، ووصل الأمر بها أن تسللت إلى بعض قاعات الدرس الجـامعى تحت ستار التنوير، والمعاصرة، واستغل بعضهم الوضع المتردى للمسلمين ليفهم الشباب أن سبب هزائمهم المتكررة، هو التمسـك بالإسـلام.

وغيرها بدعوى أن الفصحى ليست قادرة على مسايرة الكشوف العلمية المتطورة، وكان أول من نادى بها فى مصر المستشرق الألمانى (ولهلم سبيتا) وكان يعمل مديراً لدار الكتب المصرية خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر،ووضع كتابه (قواعد اللغة العامية فى مصر) سنة ١٨٨٠م مجد فيه اللغة القبطية فى مصر، ودعا العالم العربى إلى الأخذ بالعاميات بدلاً من الفصحى، ولا يخفى ما فى هذه الدعوى من الخطر على الإسلام ولغة القرآن.

ثم تابع نفس القضية (اللورد دوفرين) فى تقرير وضعه سنة ١٨٨٢مأعلن فيه أن العامية هى سبيل النهوض والتقدم فى مصر، وجاء بعده المستشرق الألمانى (كارل فولرس) مدير دار الكتب المصرية بعد "ولهلم" فوضع كتابه (اللهجة العامية الحديثة) دعا فيه إلى هجر الفصحى وحث العرب على استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من العربية، ثم تتبع القضية فى مصر سلامة موسى النصرانى فى مطلع هذا القرن، ومازلنا نسمع صداها إلى الآن ونقرآ ذلك فى كتابات بعض المشتغلين بالشئون الثقافية والتربوية.

٢- أما القضية الثانية : تتلخص فى تلك المحاولة التى يقوم بها المستشرقون ومن تأثر بهم، حيث يقولون أن سبب تأخر الشرق الإسلامى مادياً علمياً يرجع إلى تمسكهم بالدين الإسلامى وتعاليمه، ولا مناص للشعوب الإسلامية إذا أرادوا أن يتغلبوا

٣- وهل حقيقة أن سبب تأخر الشرق العربى يرجع إلى تمسكه بالإسلام وأخذه به؟

٤- قبل الإجابة على هذه الأسئلة أجد هناك سؤلاً لابد من طرحه : هل الإسلام يتعارض مع لأخذ بأسباب التقدم العلمى والحضارى؟

وفى رأيى أن وضع القضية كلها فى هذا الشكل يكون أكثر تحديداً وموضوعية بدلاً من التلاعب بالألفاظ بوضعها فى غير موضعها الحقيقى، وبهذا التحديد نستطيع أن نضع النقاط فوق الحروف.

ولعل الإجابة على السؤال الأخير تعطينا المفتاح الحقيقى للإجابة على الأسئلة السابقة، فإن الأخذ بالمفاهيم الدينية الصحيحة لا يتعارض مع الأخذ بأسباب التقدم، لأن العلاقة بينهما ليست علاقة تضاد أو تناقض حتى نظن أو نتوهم أن التمسك بالدين الصحيح سبب تأخر أهله، وإنما هى علاقة أشتمال وتداخل أو ما يسمى فى عرف المناطقة بعلاقة العموم والخصوص المطلق، فكل ما هو دين صحيح لابد وبالضرورة أن يكون فيه تقدم للبشرية وأمن وأمان وكلمة "صحيح" هنا مقصودة بذاتها، حتى لا يعد من الدين ما ليس منه، وحتى لا يرتكب باسم الدين ما لا يمت إليه بسبب، كما أن التقدم الذى ينشده الدين لأهله ليس هو تقدم الأشياء فى ذاتها فتكون الحضارة الناتجة عن هذا اللون من التقدم حضارة مادية أو هى حضارة شيئية لا تعنى بصانع الأشياء قدر عنايتها بالأشياء فى ذاتها، ذلك أن هذا

وتناسى هؤلاء أن للنصر أسبابه وللنهضة أسبابها، وأن للهزيمة أسبابها، وللتأخر أسبابه كذلك، وأن إقحام الدين فى ذلك تضليل وافتراء، ولا يحتاج الأمر فى توضيح هذه الأسباب إلى عناء كبير.

لماذا لم يقارنوا بين نظم الحكم فى الغرب ونظيرها فى الشرق؟!

لماذا لم يقارنوا بين ما يتميع به الغرب من حرية وديمقراطية، وما هو واقع فى الشرق من استبداد فى الحكم لا نظير له فى أى بلد فى العالم؟!.

إن أسباب التقدم تكمن فى احترام هذه الأسباب وضرورة الأخذ بها واحترام العلماء الذين أفتوا أعمارهم فى الكشف عنها والتنبيه إليها، ولقد نبه ابن خلدون إلى ذلك قديماً كما نبه إليه المفكرون حديثاً وأن السنن الكونية لا تتخلف آثارها إذا ما وجدت الأسباب سواء تعلق ذلك بالأفراد أم تعلق بالجماعات والأمم، فللنصر أسبابه وللهزائم أسبابها؛ كما أن لقيام الحضارات أسبابها ولا نهيار الحضارات أسبابها، وتلك سنن الله فى كونه لافرق فيها بين أمة مسلمة وأخرى كافرة.

والقضية كلها تتمثل عندى فى أسئلة محددة :

١- هل حقيقة أن أوربا قد نفضت يدها من قضايا الدين فلم تعبأ به؟

٢- وهل حقيقة أن رفضها للدين كان سبباً فى تقدمها؟

ناصيته، كما أن الشرق لم يتخلف بسبب تمسكه بالدين أو أخذه بمفاهيمه، وإنما يرجع تأخر الشرق لأنه أهمل الأخذ بأسباب التقدم ولم يسع إليها، وهذا قانون إلهى عام فى جميع الأمم ينطبق على الأمة الإسلامية كما ينطبق على الأمم الكافرة، فمن يأخذ بالأسباب يصل ضرورة إلى النتائج إذا توافرت العوامل المساعدة، ومن يهمل الأسباب لا يمنى نفسه بالوصول إلى نتائج، فالدين مفترى عليه فى هذه المقارنة، وينبغى أن نتلمس أسباب تقدم الغرب وتأخر الشرق بعيداً كل البعد عن هذه الأكذوبة المقصودة.

أوروبا والمسيحية :

وإذا ألقينا نظرة سريعة على حقيقة موقف أوروبا من الدين، فإننا نجد ما يدعو إلى الدهشة والعجب، لأن موقف حكومات أوروبا يختلف تماماً عما يشاع عنها فى منطقة الشرق والعالم الإسلامى بصفة خاصة، ولم نجد فى العالم الإسلامى كله -وهو الهدف المقصود من هذه الحملة - حكومة تخطط وتعد البرامج لتنفيذ خططها لنشر دينها وحمايته مثلما عملت حكومات أخرى فى أوربا.

وسوف أضع أمام القارئ بعض المواقف لبعض دول أوروبا من هذه القضية ليعرف مدى ما وصل إليه دعاة هذه الأكذوبة من تضليل وتزييف فى دعواهم أن أوروبا نفضت يدها من الأديان عموماً.

أولاً : لا يشك معاصر فى تقدم الشعب الإنجليزى ولا فى تحضره، ورغم ذلك فإنه على المستوى الحكومى من أكثر الشعوب

اللون من التحضر يوجه كل اهتمامه إلى الوسائل فيجعلها غايات في ذاتها ويهمل الغايات الحقيقية التي يجب أن يتوجه لخدمتها كما يتبع منها كل ألوان التقدم والتحضر.

والأديان كلها خلاف ذلك تماماً، فهي تجعل الإنسان غاية في ذاته لكل تقدم مقصود وماعدا الإنسان في هذا العالم يعتبر وسيلة له. ومن هنا نجد الأديان كلها قد وجهت عنايتها إلى الإنسان باعتباره غاية مقصودة، في الوقت نفسه لم تطلب من الإنسان أن يهمل الوسائل باعتبارها مرآة وجوده وعنوان تحضره، وهذا هو الفرق الدقيق بين موقف الأديان من معنى التحضر وموقف أولئك الرافضين للدين بدعوى أنه يعوق التقدم، فإن أولئك يهتمون بتقدم الأشياء في ذاتها على حساب التقدم الإنساني، فإن تقدم الإنسان في ذاته شيء وتقدم الأشياء المحيطة به شيء آخر. وهم بذلك يهتمون بالوسائل على حساب الغاية، وهذا عكس الموقف الديني الذي يهتم بالغاية في ذاتها ولا يهمل الوسائل.

ولعل بوادر الافلاس لبعض الحضارات المادية قد بدت واضحة في معظم دول أوروبا، حيث ظهرت حركات التمرد التي تعبر عن روح الشباب الثائر على كل شيء أمامه لأنه لم يجد فيه ما يبعث روح الأمن والأمان اللذين هما غايه الإنسان وأمله في حياته.

وأوروبا لم تتقدم لأنها أهملت الدين أو نفضت يدها منه كما يزعم هؤلاء، بل تقدمت أوروبا لأنها أخذت بأسباب التقدم وملكت

اللوردات، وشكلت الحكومة البريطانية لذلك مجلساً مؤلفاً من كبار المطارنة لحسم هذه المشكلة، ولكن هذا المجلس المؤلف قد انقسم على نفسه ولم يتفق على رأى موحد إلا بعد نقاش طويل حيث استقر رأيهم أخيراً على أن هذه الاستحالة حقيقية وطلب المجلس تعديل كتاب الصلاة فيما يتعلق بهذه النقطة، وعند ذلك عرضت الحكومة هذه القضية على مجلس اللوردات وبعد مناقشات عنيفة قرر المجلس تنفيذ قرار الأباطرة الذى كان يرأسه رئيس أساقفة كنتربرى أكبر أساقفة انجلترا، ولما كان لابد لتعديل كتاب الصلاة من موافقة مجلس العموم دخلت إليه القضية مرة أخرى، ووقف وزير الداخلية البريطانى، معترضاً على قرار التعديل فى الكتاب المقدس، فكتاب الصلاة هو دستور كنيسة انجلترا ولا يمكن تعديل شىء منه إلا بعد رأى الأمة بأسرها، وعند التصويت على هذه القضية كانت الأكثرية رافضة لقرار التعديل فى كتاب الصلاة.

فهذه مسألة دينية صرفة كانت محور هذه المناقشات الطويلة فى مجلس الشيوخ والنواب فى أعظم دول وأعلاها كعبة فى المدنية والتحضر، فهل كانت انجلترا رافضة للدين حين شغلت نفسها بهذه المشكلة؟

ثانياً : لقد وضعت بلجيكا فى برنامج حكومتها الرسمى العمل على تنصير زنوج مستعمراتها فى الكونغو، وتم لها ما أرادت فأصبح أكثر من نصف سكان الكونغو يدينون بالمسيحية بعد

الأوربية حفاظاً على دينه ومعتقداته، ولقد أثير فى الثلاثينات من هذا القرن خلاف كبير حول قضية استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح وروحه، وهذه مسألة معروفه فى الدين المسيحى، فاليمينيون يرون أنه بمجرد تقديس الكاهن على المذبح ينقلب الخبز إلى جسد المسيح وينقلب الخمر إلى دمه بناء على أن المسيح قد قال فى العشاء الأخير لحوارييه أن هذا الخبز جسدى وأن هذه الخمر دمى وقدم لهم الخبز والخمر معاً. فالكاثوليك والمحافظون يقولون أنه كلما قدس الكاهن على الخبز والخمر ودعا بالدعاء الذى قاله المسيح ينقلب الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه، وأما الوسط واليساريون فيرون أن هذه الأستحالة غير معقولة لأنها مخالفة للعلم، والخبز لا يكون جسداً للمسيح ولا الخمر دماً له بالمعنى الحقيقى، وأنه يقدس كل يوم ألوف الكهنة، ولا نرى هذا التحول حقيقة، ولا يكون كلام المسيح فى ذلك إلا رمزاً بحيث إذا قدس الكاهن يتذكر الناس جسد المسيح ودمه، واحتدم الخلاف بين اليسار واليمين حول هذه المشكلة فى انجلترا واستدل اليسار بما فى كتاب الصلاة الذى يمثل عقيدة الكنيسة الانكليكانية، وفى هذا الكتاب ما يدل على أن كلام المسيح ليس إلا رمزاً فقط وليس حقيقة، واعترض اليمين على النص المقدس وطلبوا تعديله أو حذفه من كتاب الصلاة، ولا يجوز تعديل أو حذف أى نص من كتاب الصلاة إلا بعد الرجوع إلى مجلس العموم البريطانى، ومن هنا دخلت هذه المشكلة إلى مجلس العموم ومجلس

قائمة على الدين المسيحى، وفى فبراير سنة ١٩٣٣ قدم هتلر رئيس الحزب القومى الإشتراكى الألمانى - عندما تولى رئاسة الوزارة - برنامجاً لوزارته صدق عليه جميع وزراء ألمانيا المشتركين فى الوزارة، وبدأه هتلر بقوله "أن أول واجب ستقوم به الحكومة القومية الألمانية هو العمل لأجل الوحدة الروحية وإحياء العقيدة النصرانية فى الأمة والتقاليد الجيدة الماضية "وهناك كتاب يسمى "الأديان فى ألمانيا" ينبغى أن يقرأه أولئك الذين يتزعمون عن جهل - دعوى فصل الدين عن الدولة ليعلموا ما للدين من قوة فى ألمانيا وكيف يقترن التعليم الدينى بالتعليم المدنى فى مدارسها.

والمصلح المسيحى كلفين كان أساس برنامجه الإصلاحى هو "أن الدولة المسيحية رأسها هو الله" ولأجل أن يكون الإنسان تابعاً لهذه الدولة ينبغى له عدم الحيدة عن خطة الإنجيل، والمواطنة على إقامة الشعائر المسيحية ويتناول القربان أربع مرات فى العام، ذلك أن الاشتراك فى المائدة الإلهية هو عبادة الله رأس الدولة المسيحية، واليسوع المسيح رأس الكنيسة، فهاتان السلطتان الدنيوية والروحية باتحادهما معاً من شأنهما تنفيذ إرادة البارى رأس الدولة فالسلطة السياسية بيدها السيف ولها حق القصاص إن لزم، كما أن السلطة الروحية لها حق الوعظ والتحليل والتحريم، وكلا نوعى الأحكام الزمنية والروحية يجب أن يبنى على الكتاب المقدس، والملك الذى لا ينشر مجد الله فليس بالذى يقيم مملكة وإنما يقيم لصوصية، وعلى

أن كانوا يعيشون حياة البداوة وذلك بجهد المبشرين بالمسيحية الذين أوفدتهم بليجكا لتفيذ برنامجها هناك.

ثالثاً : نجد إيطاليا بعد أن غلب عليها حكم الفاشية أعادت إلى المدارس الحكومية التعليم الدينى الخاص الكاثوليكى وأقامت الصلبان فى المدارس، وعدلت قوانين البلاد تعديلاً موافقاً لمبادىء الكنيسة، وأعلنت أنها دولة مسيحية كاثوليكية وأرسلت القساوسة والمبشرين إلى مستعمراتها، وزادت على غيرها من دول الاستعمار المسيحى أنها أخذت أطفال المسلمين قهراً من حجور أمهاتهم فى ليبيا لكى تنصرهم على الكاثوليكية فى إيطاليا نفسها، ولم تعبأ بما فى ذلك من الاعتداء على أقدس حرية بشرية وهى حرية العقيدة وهذا شىء قد سجله التاريخ وهو خير شاهد على ذلك.

وجميع الدول البروتستانية فى أوروبا تعلن كلها أنها دول مسيحية، وأن ثقافتها انجيلية، وكثيراً ما أعلنت هذه الدول فى برامج حكوماتها أمام المجالس النيابية أنها ملتزمة بالثقافة الانجيلية وتعاليمها، ولا يخفى على من يقرأ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب أن وزير معارف هولندا افتتح مؤتمر المستشرقين فى ليدن سنة ١٩٣١ بخطاب صرح فيه بأن هولندا لم تذهب إلى الشرق لأجل التجارة، وإنما لنشر الدين المسيحى" كما صرح "شترزمان" وزير خارجية ألمانيا فى كثير من خطبه أمام "الريخستاج" أن ثقافة ألمانيا

ليعلم الكل كم يخدعه هؤلاء المضللون فى زعمهم بأن أوروبا قد نفضت يدها من قضايا الدين وأنها لا تعنى بالمسيحية فى شىء وأن النشاط الدينى لا يبارح الكنيسة.

وأول من ندى بهذه الضلالة وروج لها فى الشرق هو مصطفى كمال أتاتورك رئيس تركيا، وكان وراء ذلك جهد كبير وجهاد مستمر من الاستعمار الذى غذى هذه الأكذوبة وعمل على شيوعها فى هذه المنطقة لكى يمكن لنفسه من خيراتها، وكانت الخلافة العثمانية تمثل فى نظر الاستعمار حجر عثرة يجب التخلص منها، وذلك لا يمكن إلا بالتخلص من العقيدة الإسلامية باقتلاعها من نفوس أصحابها بوسيلة أو بأخرى وفى سبيل ذلك أشاعوا كذباً وبهتاناً أن الدين ضد المدنية والتحضر، وأن تأخر الشرق يرجع إلى تمسكه بالدين و.. و.. . هذه الأكاذيب والأضاليل التى استأجروا للترويج لها أقلاماً ورجالاً مازلنا نسمع صوتهم إلى اليوم، وإذا كان أتاتورك قد سلخ تركيا عن العقيدة الإسلامية بقانون وبرنامج وضعت خطواته فى أندية أوروبا، فإن الشعب التركى لم لبث أن عاد وسريعاً إلى العمل على بناء ما تهدم وتعمير ما خرب، واصبح يجتذب إليه أنظار العالم الإسلامى كله فيعقد المؤتمرات الدولية باسم الإسلام ويكون الأحزاب الإسلامية التى وجدت لها مكاناً فى السلطة السياسية، وأصبح ما فعله أتاتورك بتركيا عملاً سجله التاريخ فى كتبه ولم يؤثر فى عقيدة المسلم التركى فى واقع الأمر، والقضية كلها أصبحت قضية تاريخية ولا واقع لها.

الحاكم أن يقبل مراقبة رجال الدين ويوطد بالتعاون معهم نظام دولته لا النظام المدنى فقط، بل الدينى أيضا".

وفرنسا قد اتفقت مع الفاتيكان على تحديد نوع العلاقة بين الدولة والكنيسة، وبمقتضى هذه العلاقة اعلنت فرنسا أنها حامية المسيحية فى الشرق ولا سيما المذهب الكاثوليكى، ومن يقرأ تاريخ الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا يعلم حقيقة موقف فرنسا من الدين المسيحى وجهودها الدائبة لنشره، ولا يخفى على أحد أيضا ما فعله الكردينال "لافيجرى والآباء اليسوعيون فى الجزائر وتونس والمغرب وبلاد النيجر، فلقد تحولت مساجد كثيرة إلى كنائس علقت فيها الصلبان وتحول الكثير من البربر إلى كاثوليك بفعل الآباء وتعمدت فرنسا إلغاء الشريعة الإسلامية فى الجزائر على يد المسيو (لوسيان سان) الذى دعا إلى عقد مؤتمر دينى كبير للكاثوليك نتج عنه حظر التجول للفقهاء المسلمين فى البلاد، ومنع حفظة القرآن الكريم ومشايخ الطرق الصوفية، كما منع زعماء البربر من إرسال أبنائهم إلى العواصم لحفظ القرآن أو تعلم العقيدة الإسلامية وذاكرة التاريخ لا تنسى شيئاً من ذلك. ولا أريد أن أستطرد فى ذكر العديد من النماذج الأوروبية التى يحلو للبعض أن يقارن الشرق بها، ولكن أصبح من المؤكد الآن أن الذى دعت إليه فرنسا فى الجزائر والمغرب هو بعينه ما يدعو إليه هؤلاء العلمانيون من أبطال العمل بالقانون الإسلامى وفصل أمور السياسة عن أمور الدين. وما أردت بذكر هذه الأمثلة إلا أن أضع أمام حكومات العالم الإسلامى وأمام القارىء حقيقة الموقف

تبشير أم تنصير

من الأفضل أن نسمى الأشياء بأسمائها الصحيحة، ولذلك فإننا نرى أن استعمال كلمة التنصير هى الأكثر دلالة على المطلوب من كلمة التبشير التى استعملها بعض الكتاب للتعبير بها عن ذلك الجهد الذى يبذله المتخصصون من النصارى فى بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين وغيرهم بهدف تنصيرهم وتحويلهم من الإسلام إلى النصرانية واتباع تعاليم الإنجيل بدلاً من القرآن والولاء للكنيسة بدلاً من المسجد.

وقد يكون مفيداً للدارسين لهذه القضية أن يعلموا أن سياسة التنصير والعمل على بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين ليست جديدة وإنها ليست وليدة هذا العصر، بل هى قديمة قدم الإسلام نفسه، ويمتد تاريخها إلى عصر النبوة ثم عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية ولازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

وأقدم وثيقة سجلت لنا تاريخ الحوار المسيحى الإسلامى هو القرآن الكريم وما جاء فيه من آيات سجلت لنا ماكان يدور بين الرسول وأهل الكتاب فى المدينة المنورة، وهذا الحوار كان يشتد أحياناً ليأخذ شكل الصراع الذى يذهب إلى مستوى الكيد والتدبير لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يهدأ فى بعض الأحيان فيأخذ شكل الحوار العقلانى، ولقد سجلت لنا سورتان كريمتان من سور القرآن الكريم ما كان يجرى من حوار بين الرسول وأخل الكتاب وهما (سورة آل عمران وسورة المائدة) والذى يتدبر آيات الحوار

سياسة التنصير

في العالم الإسلامي

اهتمامات المفكرين المعاصرين وفى الأقسام الأكاديمية للفلسفة الإسلامية والعقيدة فى الجامعات العربية والإسلامية، ولعلها تمثل الآن أهم قضايا الحوار القائم بين المسيحية والإسلام فى المؤتمرات المتعددة التى احتلت بؤرة الصراع القائم بين أهل الديانتين عبر التاريخ وتحولت لغة الصراع إلى لون جديد من الحوار كمظهر جديد من مظاهر العلاقة بينهما.

وسوف نجعل هذه الدراسة ترتكز فى مقدماتها ونتائجها على نصوص المبشرين أو القائمين على سياسة التنصير أنفسهم وكذلك على التوصيات التى يوصون بها فى مؤتمراتهم المتعددة ليكون كلامهم شاهداً لنا بما نريده من دراسة هذه القضية من حيث الغاية والهدف من جانب وليكون فى نفس الوقت رداً علمياً على الذين يرددون كلامهم ويتشيعون لمنهجهم تحت ستار المدنية والحضارة وما إلى ذلك من مسمياتهم الكثيرة التى يتسترون خلفها لبث أفكارهم بين المسلمين من جانب آخر.

ولقد نشطت المؤسسات التنصيرية فى العالم الإسلامى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر والقرن العشرين مما لفت أنظار المفكرين المسلمين أن يتنبهوا لخطورة هذه القضية وسوء عاقبتها مما دعا البعض إلى رصد هذه الموسسات وتتبع تاريخ هذا النشاط التنصيرى فى القرنين الأخيرين.

وتكاد تتفق معظم المؤلفات الحيثة على أن أول من مارس هذه المهمة فى العالم الإسلامى الحديث هو "ريمول لول ١٢٩٩-١٣٠٠"

الواردة فى هاتين السورتين يقف على حقيقة هذا الصراع وحقيقة القضايا العقدية التى كانت تمثل موضوع هذا الحوار، وكيف فضح القرآن سرائر النصارى حين بدلوا وحرفوا ما أنزل الله على عيسى النبى وبين أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، واستمرت موضوعات هذه القضية موضوع الحوار الدينى خلال عصور الإسلام، المتوالية تصدى لها علماء الإسلام عبر هذه القرون العديدة فوضع الجاحظ رسالته فى الرد على النصارى، وكتب القاضى عبدالجبار كتابه فى دلائل النبوة ونبه كل منهما على أساليب النصارى ومنهجهم فى بث الدعاوى الإنجيلية بين المسلمين.

كما تصدى لنفس القضية ابن حزم فى كتابه العظيم "الفصل" والشهرستانى فى كتابه "الملل والنحل" وعلى بن ربن الطبرى فى رسالته الرد على النصارى وابن تيميه فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وابن القيم فى كتابه "هداية الحيارى فى الرد على النصارى" وكذلك القرافى فى كتبه الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة والقرطبى فى كتابه الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام.. وكثير من الرسائل التى لا تكاد تحصى فى هذا الغرض.

وفى العصور المتأخرة، كتب – رحمة الله بن خليل الرحمن العثمانى الكيرانوى – كتابه "إظهار الحق" الذى يعتبر من أهم الكتب الحديثة التى عرضت لهذه القضية بأسلوب رصين ومنهج علمى رائع أفاد من كتب السابقين. وأخذت هذه القضية تحتل مكاناً بارزاً فى

الاستشراق والتنصير وأن هدف الفريقين واحد، وإن اختلفت الوسائل، فالمبشرون يستفيدون من دراسات المستشرقين لخصائص البلاد وأحوالهم وعاداتها وإمكاناتها للتقرب إلى أهلها بأيسر السبل، والتعاون قائم بين الفريقين لاستقطاب أهل الرأى فى المنطقة للسيطرة عليها بكل الوسائل المتاحة.

ولقد ركزت حملات التنصير فى العصر الحديث على أطراف العالم الإسلامى والمناطق النائية فى شرق وجنوب شرق آسيا وبصفة خاصة فى أندونيسيا ووسط أفريقيا والمناطق الاستوائية، مستعينين فى ذلك بالخدمات الاجتماعية التى يقدمونها لأهالى هذه المناطق كالمعونات الاقصتادية والخدمات الطبية ودور الأيتام وكبار السن وتأسيس المدارس بمراحلها المختلفة، ومما يلفت النظر حقاً أنه رغم كل هذه الجهود المضنية فإن النتائج التى حصلوا عليها كانت مخيبة لآمالهم مما دعاهم إلى معاودة النظر فى الأسلوب والوسيلة مرات ومرات، ولعل أبرز ما تم الاتفاق عليه فى مؤتمر كلورادو سنة ١٩٧٨م هو محاولة خلق البيئة الملائمة للمسلم الذى يراد تنصير، فبدلاً من التركيز على تنصير الفرد أخذوا يركزون على تنصير البيئة والجماعة كوحدة متكاملة يراد تنصيرها حتى لا يشعر الفرد بالغربة أو العزلة إذا ترك دينه منفرداً. أما إذا كانت الجماعة كلها محور العمل التنصيرى فإن الفرد لا يحس فيها بالغربة أو العزلة، لنه حينئذ سيكون فرداً فى جماعة متكاملة. وهذا ما سعى المنصرون لتحقيقه فى كثير من المناطق النائية الآن. ولعل من أبرزها ما يجرى فى أبرزها ما يجرى فى أندونيسيا وأفريقيا.

المفكر الأسباني الذى استطاع أن يحصل على إذن الملك يعقوب صاحب أرغونة ليقوم بمهمة التبشير فى مساجد برشلونة بين صفوف المسلمين محتمياً بالسلطة المسيحية فى أسبانيا [1]. وذلك بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى تحقيق أحلام الغرب وعودة بيت المقدس إلى السلطة المسية وانتزاعه من أيدى المسلمين.

وكان قبل ذلك قد تأسس فى سوريا وبلاد الشام جماعة (الإخوة الكرملية) أسسها أحد الصليبيين ٥٥٢هـ سنة ١١٥٧م وأطلق عليها اسم جبل الكرمل.

وفى أوائل القرن الثالث عشر تأسست مدرسة الآباء الفرنسيسكان والدومنييكان، وأنشأت كل منهما لنفسها فروعها المختلفة فى أنحاء سوريا وبيروت.

وفى أعقاب الحروب الصليبية كتب أسقف "دومينكانى" وهو "وليم الطرابلسى" رسالة بشئون المسلمين يوصى فيها باستخدام المرسلين (يعنى المنصرين) بدلاً من الجنود لاستعادة البلاد المقدسة[2].

ولقد أشار فيليب حتى إلى هذه الوثيقة الخطيرة فى كتابه عن تاريخ سوريا وفلسطين، وأوضح القول فى العلاقة المتبادلة بين

---

(١) راجع التبشير فى منطقة الخليج، ص ٢٠١/٢٠٣، الحنجى.
(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان ولسطين ٢٦٣/٢، دار الثقافة بيروت، نقلا عن أ.د. عبدالعظيم الديب، التعبئة الثقافية، بحث نشر فى ندوة الثقافة العربية، جامعة قطر، سنة ١٩٩٣م.

ولكن ينبغى أن ننبه هنا إلى أهم ما بينهما من فروق فى الوسائل والمناهج :

١- يركز الاستشراق فى وسائله على الجانب العلمى، كالبحث والكتاب والمقال والندوة والمؤتمر والمحاضرة، فنشاطه علمى وبحثى، مجاله العلوم الإسلامى بفروعها المختلفة، فقد تجد بينهم المشتغل بالنحو أو التاريخ أو التفسير أو علوم الحديث والفسلفة والتصوف.. الخ.. أما التبشير فغالباً ما يركز على الجانب الاجتماعى كوسيلة مؤثرة فى تحقيق أهدافه : مثل بناء المستشفيات والملاجىء والنوادى والمؤسسات التربوية والتعليمية.

٢- يركز المستشرقون فى نشاطه على مخاطبة المثقف بعد اكتشاف ميوله والتعرف على مزاجه النفسى، وكذلك المشتغلين بالسياسة ووسيلتهم فى ذلك الكتاب والمقال والندوة والصداقات الشخصية مع كبار المسئولين عن القرار السياسى والثقافى، والعائدين من البعثات التعليمية بأوروبا وغالباً ما تؤتى هذه الصداقات ثمارها فى تنفيذ أهداف النستشرقين ولعل النظرة السريعة إلى خريطة توزيع الوظائف المؤثرة ثقافياً فى وطننا العربى تؤكد لنا صدق هذه القضية، فمعظم العائدين من البعثات خاصة من فرنسا يتبوأون مراكز القيادة الثقافية فى بلادهم ومن موقعهم الوظيفى يملكون اتخاذ القرار وتنفيذه.

بين الاستشراق والتنصير :

ومن الملاحظ أن أهداف سياسة التنصير قد تلتقى مع أهداف حركة الاستشراق فى كثير من الأمور، خاصة ما يتصل منها بالأهداف الدينية والثقافية وإجماع الطرفين (المستشرقون والمنصرون) على القول بمركزية الحضارة الإنسانية وارتباطها بأوروبا وشعوبها، وهذا ما تجده واضحاً فى كتابات المستشرقين والمنصرين ومن دار فى فلكهم من الكتاب العرب الذين يقومون بدورهم فى تحقيق أهداف المستشرقين فى القول بأوربة الفكر الإنسانى قاطبة" والقول بضرورة الأخذ بالنموذج الأوروبى واقتفاء أثره إذا أراد المسلمون أن يعيشوا عصرهم وحضارتهم(٣).

وقد يكون مفيداً للقارىء أن ننبه هنا إلى أن هاتين الظاهرتين وجهان لعملة واحدة، هى موقف الغرب من الإسلام والمسلمين، وماذا يريد الغرب من الشرق الإسلامى لذلك لا غرابة أن نجد بينهما وحدة فى الهدف أحياناً ووحدة فى الوسائل أحياناً أخرى، فقد يكون بعض المستشرقون مشتغلا بعملية التنصير، وقد يكون المنصر مستشرقاً وهذا واقع معروف فى عصرنا وفى كثير من بلادنا. وهذا يفسر لنا ما قد يجده الدارس أحياناً من تداخل أحياناً فى قراءة الأسباب والأهداف لكل من هاتين الظاهرتين.

---

(٣) من هذه النماذج على سبيل المثال : عبدالله العروسى ومحمد آركون بالمغرب.

ومحاولة تحقيق هذا الغرض هو ما يطلـق عليـه لفظ التبشـير، الذى يعنى عند النصارى "العيش والعمل والحديث من أجل المسيح".

ومهمة التنصـير بيـن المسـيحيين ضروريـة، ولابـد أن يتعـاون للنهوض بها الأفراد والمؤسسات، وبلغ اهتمامهم بها حداً كبيراً جعل بعضهم يعلن صراحـة عـن طبيعـة المبشـرين بقولـه "لقد أرسـلناه لا للوعظ الاجتمـاعى، ولكـن للخـلاص، ولا للحديـث عـن الاقتصـاد بـل للتبشير، ولا للتقدم بل للنصح، لا للنظام الاجتماعى الجديد بـل للمولـد الجديد، لا للثورة بل للإنبعاث الروحـى.. لا للتغنـى بالديمقراطيـة بـل للإنجيل، لا للحضارة بل للمسيح، إننا سفراء ولسنا سياسيين".

ويتفق المسـيحيون علـى أن التبشـير ركـن أساسـى مـن أركـان الكنيسة الحديثة، وله النصيب الأكبر من الميزانية السنوية فـى أمـوال الكنيسة.

أهداف التبشير ومناهج المبشرين :

مـن الممكـن أن نـترك هـذه النقطـة دون إشـارة إليهـا لـولا أن بعض المشتغلين بالكتابة يحاول أن يحمل أعمال المبشرين فـى العـالم العربـى علـى أنهـا أمـور اجتماعيـة، الغـرض منهـا المسـاعدة الماليـة والاجتماعيـة للفقـراء والمرضـى واليتـامى، ويدعـى أن هـذه أعمـال إنسانية ولا ينبغى التشهير بهـا أو حملهـا علـى غـير مـراد أصحابهـا، وهذا ما دعانى إلى التعرض لهذه النقطة لنبين أغراض المبشرين مـن كتاباتهم هم ومن على ألسنتهم دون تدخل منهاللتفسير أو التأويل.

أما المبشرون فيركزون فى خطابهم على الطبقات الدنيا والفقيرة فى المجتمع، الطبقات التى لاحظ لها من الثقافة أو التعليم لتسد رمقها وتروى ظمأها، والطريق إلى مخاطبة الفقير والجائع هو لقمة العيش وحفنة المال.

٣- لا يلجأ المبشر إلى الطعن فى الإسلام بطريق مباشر، وإنما يبدأ حواره مع المسلم بالحديث عن الجوانب الاجتماعية التى تشغله والتى هى نقطة الضعف فى حياته ويعانى منها، عكس المستشرق فإنه يلجأ فى مؤلفاته إلى النيل من الإسلام ومن الرسول بشكل مباشر تحت ستار البحث العلمى والموضوعية فى البحث ويعلن رأيه بشكل مباشر وصريح فيطعن فى نبوة الرسول والقرآن ويثير المشكلات التى مازالت تؤرق المفكر المسلم إلى الآن.

ويمكن أن نعرف التنصير من أقوال أصحابه القائمين به بأنه: منهج يسلكه المختصون لتنصير العالم وتقديم تعاليم الإنجيل إلى غير المسيحى بوسائل مختلفة ولقد أفصح الدكتور (هاريسون) عن هذا الهدف بوضوح فى تحديده مهمة الإرسالية العربية الأمريكية بدول الخليج فى قوله : "إننا نريدهم أن يصبحوا مسيحيين"(٤) مستدلاً على ذلك بما جاء فى الإنجيل "فلتذهب إليهم وليكن لك اتباع بين جميع الأمم(٥)، ويجب أن يعم الإنجيل كل الأمم.

---

(٤) التبشير والاستشراق : مستشار عزت الطهطاوى، ص١٥٨-١٥٩.

(٥) Dang.13 نقلا عن التبشير والاستعمار : فروخ.

١- تحويل أهل الجزيرة العربية عن الإسلام إلى المسيحية، ويتضح هذا الهدف من برنامج عمل الإرسالية الأمريكية التى تأسست سنة ١٨٨٩م فقد جاء فيه ما يلى : "نحن الموقعين أدناه قد عزمنا على القيام بنشاط تبشيرى رائد فى البلاد الناطقة باللغة العربية وبخاصة من أجل المسلمين والعبيد مقرين بالحقائق التالية. إن الحاجة بالغة لهذا العمل التبشيرى وضرورة تشجيعه فى العصر الحالى.. ولذلك فقد اقترحت اللجنة المؤسسة لها، ضرورة البدء السريع فى هذا العمل، وأن يكون ميدانها الجزيرة العربية وأعالى النيل.

٢- ومما يقوى الهدف السابق، ما يدعيه "زويمر" أحد مؤسسى الإرسالية السابقة من وجود حق تاريخى للنصرانية فى الجزيرة العربية، وأن إعادتها إلى النصرانية كسابق عهدها أمر غير مستحيل، وقد أكد ذلك "زويمر" فى قوله : "إن للمسيح حقاً فى استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التى جمعت لدينا فى الخمسين سنة الأخير، على أن المسيحية كانت منتشرة فى البلاد فى سابق عهدها، وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هنا، ولهذا فإن واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية(٧). وكان لسقوط الأندلس فى أيدى الصليبيين وانتهاء عهد المسلمين بها أثر فى تفكير "زويمر" فى الدعوة إلى استرجاع هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية.

---

(٧) التبشير فى منطقة الخليج، عبدالملك التميمى، ص٢٤٦.

يقول الدكتور (إرهاس) طبيب الإرسالية التبشيرية في طرابلس: فإنه يجب على طبيب الإرسالية التبشرية ألا ينسى أبداً لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك :

ولقد خطب القسيس "هاريك" في جموع المبشرين مبيناً لهم كيفية التعامل مع المسلمين قائلاً : إن ترجمة الإنجيل وكتب التبشير إلى اللغات الإسلامية أكثر فائدة وأتم نفعاً، لأنه بمجرد شراء المسلمين لكتب المبشرين ومطالعتهم لها تتبدد أوهامهم القديمة عن المسيحية، وأما الجدل والمناظرة فيبعدان المحبة التي لها وقع كبير على قلوب الغير وتأثير مضاد على نشر النصرانية، فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر إن طريق الاعتقاد غايته دائماً القلب، ويجب على المبشر أن يتحلى دائماً بمبدأ المسيحية قبل أن يتغنى بالأمور النظرية، كما يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستوراً سياسياً بل هي الحياة كلها.. إنها تحب العدل والطهر، وتمقت الظلم والباطل، ونفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه في مستشفياتنا، ونفرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر ونتعلق بأهداف الأمل. إذ المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية الاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل، وبهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين(٦).

وسبق أن قلنا إن أهداف الاستشراق قد تلتقي مع أهداف التبشير في كثير منها لكن ذلك لا يعفينا من التنبيه إلى أهم أهداف التبشير في العالم الإسلامي عموماً وفي منطقة الخليج بصفة خاصة.

---

(٦) الخالدي : ص١٠٤-١٠٦.

النبات.[٨] وكان دخول الكنيسة عملاً إجبارياً على كل تلميذ بالجامعة، ولما احتج أولياء أمور الطلاب على ذلك اجتمع مجلس الجامعة وأصدر منشوراً بهذا الخصوص جاء فى مادته الرابعة ما يلى :

إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحى، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وأنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يساندها هؤلاء وكل هذا قد فعله ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحى على كل تلميذ، وهكذا نجد أنفسنا ملزمين أن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ.. وأن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه، ثم أعلن مجلس الأمناء للكلية: أنها لم تؤسس للتعليم العلمانى.. ولكن من أول غاياتها أن تعلن الحقائق الكبرى التى فى التوراة وأن تكون مركزاً للنور المسيحى، وللتأثير المسيحى، وأن تخرج بذلك على الناس وأن توصيهم به.

وهذه المؤسسة التعليمية ببيروت قد تأسس لها نظائر فى سائر البلاد الاسلامية والعربية على وجه الخصوص، فهناك الجامعة الأمريكية بمصر، وجامعة غوردون بالخرطوم، وكذلك فى استامبول بتركيا، بالإضافة إلى المدارس اليسوعية التى لا حصر لها فى البلاد العربية وقراها، ولا يخفى على من يراجع المناهج التعليمية فى هذه المؤسسات أن التبشير هو مركز الدائرة فى كل أنشطة هذه المؤسسات.

---

(٨) الخالدى، ص ١٠٤-١٦.



٣- الالتفاف حول المقدسات الإسلامية فى مكة والمدينة، وهذا الهدف قد أعلنه كثير من المبشرين فى مؤلفاتهم، فلقد أعلن "هانوتو" أن هذه الرموز المقدسة هى رموز وحدة المسلمين وسر قوتهم، وأن المسلمين حين يلتقون حولها فى الكعبة أو فى المدينة يجددون نشاطهم ويستعيدون قوتهم الروحية التى يستمدون منها معنى التحدى على مواجهة المشكلات.

ولم ينس رؤساء المؤسسات التبشيرية أن يعلنوا صراحة أهدافهم التبشيرية على مسامع الأفراد المسلمين الذين يتعاملون معهم فى المؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات التى أنشأوها فى البلاد الإسلامية لهذا الغرض، تحت ستار نشر التعليم الحديث بين أبناء الشرق. فلقد أقيمت الجامعة الأميريكية فى بيروت ١٨٦٥م، ليكون مديرها مبشراً وجميع المدرسين بها من المبشرين كذلك، وكان من مبادىء تولى التدريس بالجامعة أن يقسم المدرسون بها على أن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد هو التبشير، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى فقط، بل يجب عليهم أن يقوموا بمهمة التبشير أيضاً، وكانت تحرص الجامعة أن تظهر أساتذتها بمظهر المبشرين وكانت تجبرهم الجامعة أن يحضروا مؤتمرات المبشرين، ولما أحست الجامعة بنوع من الحرج فى مواجهة الدولة العثمانية فى أوائل هذا القرن ألغت مبدأ القسم المطلوب من الأساتذة.

ولقد قرر مؤتمر القدس المنعقد ١٩٣٥ن أن يستغل كل درس علمى فى سبيل تأويل مسيحى لفروع العلوم، كالتاريخ وعلم

الوسائل والمؤسسات التبشيرية :

أ- الإرسالية الأمريكية فى دول الخليج :

هى إرسالية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية فى شبه الجزيرة العربية، قام بتأسيسها الدكتور لانسنج Lansing أستاذ اللغة العربية فى معهد اللاهوت فى نيوبرونسك New Brunswick الخاص بتدريب المبشرين التابع لكنيسة الإصلاح الدينى بأمريكا. ولقد ساعد لانسنج فى تأسيس هذه الإرسالية ثلاثة من تلامذته وهم جيمس كانتين، وصموئيل زويمر، وفيليب فيلبس، وكان والد لانسنج يعمل مبشراً فى بلاد الشام وخاصة سوريا لمدة طويلة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد أطلق لانسنج ومساعدوه على هذه الإرسالية اسم الإرسالية العربية سنة ١٨٨٩م. استجابة لطلب رسمى مقدم إلى هيئة الإرساليات الأجنبية للسماح بالقيام بعمل تبشيرى فى البلاد الناطقة باللغة العربية، وبدأت هذه الإرسالية تباشر نشاطها فى الجزيرة العربية وخاصة فى المناطق المطلة على الخليج العربى، وكانت كنيسة الإصلاح الأمريكية بولاية نيوجرسى هى التى تتولى الإشراف والتمويل لهذه الإرسالية كما كانت تمدها بالمبشرين الجدد الذين أتموا تدريبهم بما وأصبحوا مؤهلين للقيام بالعمل التبشيرى، وكان من خطة هذه الإرسالية العمل على نشر الإنجيل المسيحى فى المكان الذى نشأ فيه الإسلام، ولقد أحست هذه الإرسالية بصعوبة المهمة المكلفة بها خاصة فى منطقة الجزيرة العربية مهد الإسلام والتى يتمتع أهلها بالولاء الكامل والغيرة الشديدة على الإسلام، لذلك

والدور التبشيرى الذى قامت به الجامعة الأمريكية، فى بيروت التى أسست سنة ١٨٦٥ قامت به جميع الكليات التبشيرية الأخرى التى أسست لنفس الغرض وفى شتى بقاع العالم الإسلامى ويستوى فى ذلك الجامعة الأمريكية فى وسط القاهرة، والجامعة الأمريكية فى استامبول، والكلية الفرنسية فى لاهور وهذه الجامعة الأخيرة قامت بدور خطير جداً فى جنوب شرق آسيا.

وتحت ستار نشر التعليم والثقافة فى بلدان العالم الثالث حول المبشرون دور التعليم بمراحلة المختلفة وكذلك المؤسسات الثقافية المختلفة إلى حقول خصبة لزرع تعاليم الإنجيل ونشر تعاليم المسيحية بين أبناء المسلمين من سن الطفولة فى دور الحضانة وانتهاء بالتعليم الجامعى حيث أسسوا مدارس ومعاهد تعليمية لكل هذه المستويات وزرعوها زرعاً فى معظم البلاد الإسلامية.

وكذلك المؤسسات الثقافية والإعلامية كانت بمثابة منابر يعملون من خلالها على نشر تعاليمهم، ولم يجدوا غضاضة فى الإفصاح عن ذلك صراحة حتى إن واحداً منهم يعلن صراحة "أن المبشرين استغلوا الصحافة المصرية بصفة خاصة للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر منها فى أى بلد آخر، حيث ظهرت مقالات كثيرة فى الصحف المصرية إما مأجورة فى أغلب الأحيان أو بلا أجر فى أحوال نادرة.[٩]

---

(٩) البهى ص ٤٢٩، الخالدى وفروخ ص٢٠٧.

خاصة بالنسبة للمبشرين"[١٢]. وظلت المحاولات قائمة بين الإرسالية والشيخ مبارك حاكم الكويت إلى أن توصلت الإرسالية إلى الحصول على موافقة منه بفتح مستشفى سنة ١٩١٣م وأعطاها الشيخ قطعة أرض مجاورة لقصره ليقيموا عليها منزلاً لهم، وتدخل القنصل البريطانى ليكون وسيطاً لهم عند الشيخ بضمان الولاء وعدم المعارضة، وظلت هذه الإرسالية تباشر نشاطها بالمنطقة إلى وقت قريب.

د- ولعل أحدث مركز أنشىء للتبشير فى هذه المنطقة هو فى قطر، حيث قدم إليها القس "جريت بينتجز والدكاترة هاريسون، وديم، وتوماس، والآنسة كورنيليا دالنبرج لتفقد معالم المنطقة ودراسة أحوالها، وفى سنة ١٩٤٥م حضر إلى قطر القس ج. فان بيرسم" لأفتتاح مستشفى وبعض المراكز الطبية فى قطر ووجدوا فى هذا فرصة جيدة لمزاولة نشاطهم، وطلب منهم الشيخ أن يضعوا تصميماً لمستشفى سيعهد بإدارتها إليهم وفى خريف سنة ١٩٤٧م، أصبح المستشفى جاهزاً للعمل، ولكن هذه الخدمات الطبية لم تستمر طويلاً فى قطر ففى سنة ١٩٥٢م اضطرت الإرسالية أن تتوقف عن نشاطها تماماً فى قطر حيث عادت المستشفى إلى حكومة قطر وأصبحت الإرسالية غير آمنة على نفسها فتوقفت عن العمل تماماً فى هذا البلد[١٣].

(١٢) السابق، ص٦٣.

(١٣) المصدر السابق، ص٧٠.

فكروا فى وضع خطة مكتوبة يوافق عليها أعضاء الإرسالية لتكون هذه الخطة ورقة عمل لهم فى هذه المنطقة وفى غيرها. ومما جاء فى هذه الخطة.

نحن الموقعين أدناه قد عزمنا على القيام بنشاط تبشيرى رائد فى البلاد الناطقة باللغة العربية وبصفة خاصة من أجل المسلمين والعبيد مقربين منذ البداية بالحقائق التالية :

١- الحاجة البالغة لهذا العمل التبشيرى وضرورة تشجيعية فى العصر الحديث.

٢- عدم وجود مثل هذا العمل التبشيرى تحت إشراف مجلس الإرساليات الأجنبية فى الوقت الحالى :

٣- عدم قيام أى مجهود يذكر حتى الآن فى المجالات آنفة الذكر ولتحقيق الأهداف المرجوة فإننا نتقدم من المجلس وبتأييده إلى الكنيسة عامة بالمقترحات التالية :

(١) الشروع بهذا العمل بأسرع وقت ممكن.

(٢) أن يكون ميدان العمل الجزيرة العربية أو أعالى النيل.

وجاء فى المادة الأولى من دستور هذه الإرسالية "سيكون اسم هذه المنظمة : الإرسالية العربية" وفى المادة الثانية : سيكون هدف هذه المنظمة القيام بالعمل التبشيرى فى الجزيرة العربية أو البلاد الناطقة بالعربية.

خاصة الذين يعيشون فى البوادى أضف إلى ذلك الحالة الصحية والرعاية الطبية المتدنية، وهذا كله جعل النشاط الطبى وسيلة مناسبة وميسورة وبعيدة عن الشبهات، وعن طريق المستشفيات والعيادات العامة يسهل اللقاء المباشر مع سكان المنطقة المسلمين رجالاً ونساء، فكان المريض إذا ذهب إلى المستشفى لا يسمح له بلقاء الطبيب إلا بعد أن يؤدى الصلاة المسيحية بالكنيسة الملحقة بالمستشفى، ولا يصرف له العلاج إلا بعد لقاء مباشر مع الراهب أو الراهبة. وهذا جعل للهيئات الطبية بالمنطقة وضعاً ممتازاً بين سكان المنطقة، حيث كان المسلم والمسلمة هما اللذان يطلبان لقاء الطبيب والطبيبة، ويسعيان لمقابلتهما، والسماع منهما والجلوس إليهما حيثما كانا، وهذا جعل المستشفى والمستوصف من أخطر مراكز التبشير فى منطقة الخليج، ولعل أكبر مثال على ذلك مستشفى بعثة الآتحاد الإنجيلى فى الإمارات العربية المتحدة فإن نشاطها لا يقتصر على المرضى المقيمين بها فقط، وإنما تعدى ذلك إلى إقامة الندوات لعامة التى تعقد فى القاعة المعدة لذلك، كما أسست المستشفى مكتبة خاصة لبيع الكتب والمطبوعات المسيحية، وفى كل غرفة منها تقدم اشرطة التسجيل للكتاب المقدس وسماع موغظة الأحد.(١٥)

٢- ومن وسائل المبشرين عموماً - وفى الخليج بصفة خاصة - العلاقات الشخصية والصدقات التى تتم بين الأفراد والعائلات فى

---

(١٥)

البحرين مركزاً مستقلاً للنشاط التبشيرى فى المنطقة بعد أن كان تابعاً لمركزهم بالبصرة، وساعد على تكثيف النشاط التبشيرى بها عوامل كثيرة أشار إليها المبشرون أنفسهم، ومن أهم هذه العوامل، وضع البحرين السياسى حيث كانت محمية بريطانية وهذا العامل وحده كان كافياً لتوفير قدر من الأمن والأمان للمبشرين فىالمنطقة. ثم ابتدأ نشاط هذه الإرسالية إلى جنوب الجزيرة العربية فأنشأت لها مركزاً فى عمان ومسقط ومن عمان امتد نشاط الإرسالية إلى شرق أفريقيا ووسطها.

جـ- وفى مطلع القرن العشرين أنشأ المبشرون مركزاً لهم فى دولة الكويت حيث بدأوا فى زيارتها سنة ١٩٠٠م للمرة الأولى وكانت زيارتهم الثانية لها سنة ١٩٠٣م حيث افتتحوا بها مكتبة لبيع الكتاب المقدس، ولكن رفض حاكم الكويت فى وقتها وهو الشيخ مبارك أن تقوم هذه المكتبة بأى نشاط تبشيرى فى الكويت ثم أمر بإغلاقها.

ولكن أعين المبشرين لم تنصرف عن الكويت لما لها من أهمية كبيرة فى نظر المبشرين، ولقد كتب "أرنولد ويلسون" عن أهمية الكويت بالنسبة للنشاط التبشيرى فقال : "إن المزايا الاستراتيجية والتجارية لموقعها وقربها من مدخل دجلة والفرات وأن لها صلتها الوثيقة بمملكة ابن سعود فى وسط الجزيرة العربية، وكونها تسمح بالعبور إليها بسهولة، كل هذه الأمور تجعل الكويت ذات أهمية

العالم الإسلامى، وهذه المؤسسات يختلف نشاطها قوة وضعفاً حسب المنطقة التى تعمل بها، فعلى سبيل المثال نجد أن أنشطة المدارس العاملة فى دول الخليج مدارس كاثوليك في أبـى ظبـى، ومدرسة الإرسالية الأمريكية التى كانت تعمل فى البحرين.

٦- يضاف إلى ما سبق دور الصحافة والفنون والبعثات التعليمية وما يترتب على ذلك من نشر أفكار لتزييف التاريخ الإسلامى أحياناً واستغلال الواقع المؤلم للعالم الإسلامى أحياناً أخرى ومحاولة ربط ذلك التخلف بالإسلام.

ولقد قامت الصحافة بأخطر الأدوار التبشيرية فى المنطقة العربية والإسلامية على وجه العموم، فلقد هاجر إلى مصر كثير من الموارنة اللبنانية بدعوى زائفة ومكشوفة وهى طلب الآمان فى مصر بلد الحرية والنور. هكذا كانوا يبررون هجرتهم إلى مصر. ولازالوا. ولكن قد أثبت الواقع عكس ذلك تماماً. فقد كان الموارنة خريجى الأديرة والكنائس والمدارس التبشيرية الذين حملوا معهم بذور الفتن وأساليب التنصير فى ربوع مصر، وأخذو يباشرون نشاطهم تحت حماية الاستعمار الأجنبى الذى كان مسيطراً على كل مرافق الحياة فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان نشاط الموارنة المهاجرين شديد الأثر، فلقد هيأ الوجدان المصرى للاستعمار الثقافى، ولقد أشار إلى هذه الحقيقة المؤرخ الأمريكى بيترجران حيث قال : لقد سعت فرنسا إلى زرع فئة من التجار

هذه فكرة موجزة عن تاريخ التبشير بالمنطقة العربية خاصة منطقة الخليج العربية، ومن المعلوم أنه فى عصر الاستعمار الحديث، نشطت عملية التبشير فى الأقطار الإسلامية التى احتلتها دول الغرب، وفرضت سيطرتها السياسية والثقافية على أهلها، وجلب الاستعمار معه كثيراً من المبشرين وسدنة الكنائس، يقول الأستاذ أحمد دنفو فى كتابه التبشير فى منطقة الخليج ".. فى عام ١٨٧٠ : وسعت البعثة التبشيرية التابعة للكنيسة الإصلاحية فى أمريكا مجال نشاطها فى العراق حيث كانت تباشر أعمالها فى منطقة الخليج عن طريق تقديم الخدمات الطبية والتعليمية، كما أن الكنيسة الأنكليكانية ارتبط وجودها بالجيش البريطانى فى منطقة الخليج، بينما وصلت الكنيسة الكاثوليكية عن طريق الهند وأفريقيا الشرقية، وقد أسس عدد كبير من موظفى شركات النفط كنائس على المستوى المحلى، وآخر الكنائس التى أسس فى الخليج العربى كانت تلك التى أسسها العنال المهاجرون من الهند وباكستان"(١٤).

أهم الوسائل :

١- من أهم الوسائل التى يسلكها المبشرون فى منطقة الخليج أنهم يركزون على الجوانب الاجتماعية لخدمة المنطقة، ومما ساعدهم على سهولة الأخذ بهذه الوسيلة أن المنطقة الخليجية قبل ظهور النفط فيها كانت تعيش حياة البداوة، فالجهل هو الصفة الغالبة على سكان المنطقة، والفقر المتقع كان واقعاً يعيشه معظم السكان

(١٤) التبشير فى منطقة الخليج، ص٥، أحمد نون دنقر.

والدور الذى لعبه تقلا ورفاقه لا يقل عنه ما قامت به مؤسسة جرجى زيدان فى مصر، فتحت ستار التنوير والنهوض والتقدمية، زلزلت كثيراً من ثوابت لقيم فى الشارع المصرى الحديث واستطاعت أن ترسخ فى وجان الأمة العربية كثيراً من الأكاذيب وتعمل على الترويج لها، مثل قولهم بأن الحملة الفرنسية هى بداية عصر النهضة فى مصر، أو أن الخلافة العثمانية تمثل عصر الظلام، وأن اتصالنا بفرنسا هو الذى علمنا معنى الحرية وأخذ بيدنا فى سلم الحضارة.. الخ(١٧).

العمالة المهاجرة فى ظل الكنيسة :

لعل منطقة الخليج العربى أهم مناطق العالم المعاصر بالنسبة لجذب العمالة من الخارج نظراً لظروفها الاقتصادية والاجتماعية، ولقد عقد فى بيروت سنة ١٩٧٩م مؤتمراً نظمته إحدى الهيئات التبشيرية عن أوضاع منطقة الخليج ودور العمالة المهاجرة إليها، ولاحظت هذه الهيئة (MECC) أن ٨٠٪ من سكان هذه المنطقة هم فى الأساس من العمالة المهاجرة وأن أوضاع هذه العمالة تدعو للقلق والاهتمام بها وبدورها الإيجابى فى تغيير الشكل السكانى للمنطقة، وترتب على هذا الموقف أن أعدت هذه الهيئة دراسة للشكل السكانى ومحاولة التعرف على نسبة العمالة المهاجرة ودياناتها وقام بعض القسس بتنظيم زيارات عدة لدول المنطقة والعمل على تأمين العمل

(١٧) راجع البحث الذى كتبه أ. د عبدالعظيم الديب، فى ندوة الثقافة العربية، جامعة قطر، سنة ١٩٩٣م.

داخل المنطقة وخارجها، ومن أبرز المبشرين بهذا الجانب مجموعة صانعى الخيام فى أماكن العمل المختلفة، واحتكاكهم المباشر مع أصحاب الأعمال ومع العمال أيضاً.

٣- يأتى بعد ذلك دور المطبوعات فى عملية التبشير وتوزيعها بالمجان، فهناك عدد كبير من المكتبات المسيحية تقوم بهذه المهمة، وهناك المطبوعات التى توزع على البيوت سراً وهى أشبه بالمواعظ الإنجيلية والترانيم اللاهوتية يجدها الشخص أمام بيته فى الصباح أو ملصقة على الجدران.

٤- الإذاعات التبشيرية المنتشرة حول العالم الإسلامى وفى داخله، وهى أكثر الوسائل الحديثة فعالية فى الاتصال بالمسلمين، وهناك أجهزة أعلامية متخصصة فى انتاج البرامج التبشيرية الموجهة إلى المسلمين، ولعل من أهم هذه الأجهزة شركات الانتاج الإعلامى الموجودة فى لبنان وفرنسا وأسبانيا، وفى جزيرة سيشل، وبعض هذه الشركات تبث برامجها من راديو عبر العالم من موناكو ومن قبرص كما أن راديو الفاتيكان يبث برامجه التبشيرية باللغة العربية. ولعل أنشط هذه الشركات الآن راديو مونتوكارلو الذى يبث برامجه التبشيرية بعد الساعة الحادية عشر مساء عادة.

٥- المؤسسات التربوية التعليمية، مثل دور الحضانة والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعات الأمريكية المنتشرة فى

العالم الإسلامى، وهذه المؤسسات يختلف نشاطها قوة وضعفاً حسب المنطقة التى تعمل بها، فعلى سبيل المثال نجد أن أنشطة المدارس العاملة فى دول الخليج مدارس كاثوليك فى أبى ظبى، ومدرسة الإرسالية الأمريكية التى كانت تعمل فى البحرين.

٦- يضاف إلى ما سبق دور الصحافة والفنون والبعثات التعليمية وما يترتب على ذلك من نشر أفكار لتزييف التاريخ الإسلامى أحياناً واستغلال الواقع المؤلم للعالم الإسلامى أحياناً أخرى ومحاولة ربط ذلك التخلف بالإسلام.

ولقد قامت الصحافة بأخطر الأدوار التبشيرية فى المنطقة العربية والإسلامية على وجه العموم، فلقد هاجر إلى مصر كثير من الموارنة اللبنانية بدعوى زائفة ومكشوفة وهى طلب الآمان فى مصر بلد الحرية والنور. هكذا كانوا يبررون هجرتهم إلى مصر. ولازالوا. ولكن قد أثبت الواقع عكس ذلك تماماً. فقد كان الموارنة خريجى الأديرة والكنائس والمدارس التبشيرية الذين حملوا معهم بذور الفتن وأساليب التنصير فى ربوع مصر، وأخذو يباشرون نشاطهم تحت حماية الاستعمار الأجنبى الذى كان مسيطراً على كل مرافق الحياة فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وكان نشاط الموارنة المهاجرين شديد الأثر، فلقد هيأ الوجدان المصرى للاستعمار الثقافى، ولقد أشار إلى هذه الحقيقة المؤرخ الأمريكى بيترجران حيث قال : لقد سعت فرنسا إلى زرع فئة من التجار

المارونيين الشوام فى الاسكندرية ودمياط ورشيد، تحت حماية النفوذ الأجنبى، وكان لهؤلاء بعض الصحف التى أطلق عليها عبد الله النديم صحف الأجراء وكان يسمى ما ينشرونه بالقاذورات.(١٦)

وقام جرجى زيدان بتأسيس دار الهلال بمصر وهى مؤسسة تبشيرية خالصة وكذلك أنشأوا مجلة الكاتب المصرى، وقيل أنها تأسست بأموال صهيونية.

أما جريدة الأهرام فتأسست بيد صليبية خالصة وكان من بنود تأسيسها ألا يعمل بها إلا النصارى ولا يقوم بتوزيعها إلا النصارى، وكان من أكبر مؤسسيها بشارة تقلا وإخوانه الذين هاجروا إلى مصر سنة ١٨٧٣هـ تحت حماية الحملة الفرنسية، وكان صاحب دور كبير فى تأليب الإنجليز ضد عرابى، وكان قلمه مدافعاً عن الإنجليز أحياناً، وعن الفرنسيين أحياناً أخرى ولقد سجل عرابى فى مذكراته كيف خدعه بشارة تقلا. فقد كان مؤمناً بمبادىء عرابى، أو هكذا كان يتظاهر، يقول عرابى: "وبعد ساعة جاء ليزورنى بشارة تقلا محرر جريدة الأهرام، وظننت أنه قدم ليعزينى ويبدى عواطفه نحوى لأنه قد أقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا يعمل لحرية وطننا.. ولكنه لما دخل على توقح أشد التوقح، ثم قال : أى عرابى: ماذا فعلت وماذا حل بك ورأيت أن الرجل خائن لا محالة" هكذا يقول عرابى عن بشارة تقلا مؤسس جريدة الأهرام.

---

(١٦) راجع بحث أ. د. عبدالعظيم الديب، الندوة العربية، جامعة قطر، سنة ١٩٩٣م.

والدور الذى لعبه تقلا ورفاقه لا يقل عنه ما قامت به مؤسسة جرجى زيدان فى مصر، فتحت ستار التنوير والنهوض والتقدمية، زلزلت كثيراً من ثوابت لقيم فى الشارع المصرى الحديث واستطاعت أن ترسخ فى وجان الأمة العربية كثيراً من الأكاذيب وتعمل على الترويج لها، مثل قولهم بأن الحملة الفرنسية هى بداية عصر النهضة فى مصر، أو أن الخلافة العثمانية تمثل عصر الظلام، وأن اتصالنا بفرنسا هو الذى علمنا معنى الحرية وأخذ بيدنا فى سلم الحضارة.. الخ(١٧).

العمالة المهاجرة فى ظل الكنيسة :

لعل منطقة الخليج العربى أهم مناطق العالم المعاصر بالنسبة لجذب العمالة من الخارج نظراً لظروفها الاقتصادية والاجتماعية، ولقد عقد فى بيروت سنة ١٩٧٩م مؤتمراً نظمته إحدى الهيئات التبشيرية عن أوضاع منطقة الخليج ودور العمالة المهاجرة إليها، ولاحظت هذه الهيئة (MECC) أن ٨٠٪ من سكان هذه المنطقة هم فى الأساس من العمالة المهاجرة وأن أوضاع هذه العمالة تدعو للقلق والاهتمام بها وبدورها الإيجابى فى تغيير الشكل السكانى للمنطقة، وترتب على هذا الموقف أن أعدت هذه الهيئة دراسة للشكل السكانى ومحاولة التعرف على نسبة العمالة المهاجرة ودياناتها وقام بعض القسس بتنظيم زيارات عدة لدول المنطقة والعمل على تأمين العمل

---

(١٧) راجع البحث الذى كتبه أ. د عبدالعظيم الديب، فى ندوة الثقافة العربية، جامعة قطر، سنة ١٩٩٣م.

لبعض القسس والمربين المسيحيين الذين يتكلمون اللغة العربية لقيادة العمالة المسيحية المهاجرة إلى المنطقة.

ولقد أعدت أمانة السر المنبثقة عن مؤتمر الكنائس العالمى وثائق عن هؤلاء المهاجرين لدراستها والعمل على أساسها. وبناء على دراسة هذه الوثائق أعلن مؤتمر الكنائس سنة ١٩٧٥م أنه يجب على الكنائس أن تدافع عن حقوق هؤلاء العمال المهاجرين وتسعى لتحسين أوضاعهم، ولقد أنشأ هذا المؤتمر لجنة لمتابعة أحوال هذه العمالة ومتابعة تنفيذ قراراته بشأنها وأجرى استطلاع للرأى العام الكنائسى حول الأمور الآتية :

١- مدى استجابة الأسرة الدولية لنداء مؤتمر الكنائس المنعقد فى أفريقيا وفى آسيا وفى الشرق الأوسط بشأن حقوق هذه العمالة.
٢- أيسر السبل لمتابعة أحوال العمالة المهاجرة فى الخليج والوقوف على ما يلاقونه من صعوبات.
٣- كيف يمكن للكنئس البروتستنتيه والكاثوليكية والأرثوذكسية أن تؤمن رسالة العمالة فى منطقة الخليج(١٨).

وقدرت هذه الهيئة عدد العمال المسيحين المهاجرين إلى المنطقة رجالاً وإناثاً فى جميع مستويات العمالة يتراوح بين ٥ و٢-٣ مليون مسيحى معظمهم من دول آسيا وأفريقيا، ولقد أعدت هيئة الأمانة العامة للهجرة فى مؤتمر الكنائس العالمى وثائق عن هؤلاء

---

(١٨) راجع التبشير المسيحى فى منطقة الخليج، بقلم أحمد فون دنفر، ص٣٢-٣٥.

المهاجرين لدراستها والعمل على أساسها، وقد قرر المؤتمر العام للكنائس سنة ١٩٧٥م أنه يجب على الكنائس المختلفة خاصة التى لها فروع فى بلاد الخليج العربى أن تدفاع عن حقوق العمالة المسيحية المهاجرة إلى المنطقة والعمل على تحسين أحوالهم.

ولقد صدر حديثاً كتاب عن منظمة عالمية تعمل فى باكستان عنوان "صل يومياً pray day by day " لنشر المسيحية فى منطقة الخليج ولتقوية الكنيسة بين العمال المهاجرين وخاصة القادمين من باكستان، ومن بين الصلوات المطلوبة أن يصلوا من أجل فتح مركز للدارسين للإنجيل بالمراسلة من الباكستانيين والهنود فى الخليج العربى ولتنمية برامج الإذاعة.

ومما سهل للمبشرين عملهم فى المنطقة أنهم يعتمدون فى تنفيذ برامجهم على هذا العدد الضخم من العمالة غير المسلمة، بالإضافة إلى أن آخر احصائية لعدد المبشرين فى الشرق الأوسط قد بلغ ١٣٠٠ ويذكر الإنجيليون أن عدد المبشرين فى منطقة الخليج حوالى ٨٠ مبشراً بروتستانيا معظمهم يحمل فى المراكز الطبية.

كما أن هناك عدداً كبيراً منهم يعملون فى المجالات الفنية والصناعية دون أن يعلنوا عن هويتهم وليس من السهل التعرف على طبيعة نشاطهم.

نشاطهم فى مصر :

ونجد أن الاستعمار البريطانى بعد أن استقرت له الأمور فى مصر لم يغب عن ذهنه هذا الدور التبشيرى، وكان من أبرز

الشخصيات التى كان لها الدور الرائد فى محاربة الإسلام والمسلمين بمصر "اللورد كرومر" المندوب السامى البريطانى، وكان يتميز بالدهاء والعداء للإسلام ولغته العربية، فعمل منذ أول عهده بمصر على تغريب الحياة الثقافية والسياسية والتعليمية ومناهجها، وكان له الدور الأكبر فى تثبيت دعائم الإستعمار بمصر وقد وضع "كرومر" مخططه التبشيرى والإستعمارى معاً فى كتابه "مصر الحديثه" الذى ضمنه آراء وأهداف من الوجود البريطانى فى مصر، ومن أهم القضايا التى أثارها "كرومر" فى هذا الكتاب ما يأتى:

١- التركيز على إظهار أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى تمسكهم بالإسلام، وأن تعاليمه تتنافى مع المدنية الحديث، والحضارة والعلم.

٢- ليس أمام المسلمين من طريق إلى المدنية الحديثة إلا بالتخلص من الإسلام وتعاليمه.

٣- محاولته الدؤوب ارجاع كل مشاكل التخالف الموجود فى العالم الإسلامى السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى تعاليم الإسلام.

وقد امتد نشاط "كرومر" إلى لغة القرآن الكريم، حيث نادى بضرورة إلغائها والأخذ باللغة العامية، وجعل لغة القاهرة هى اللغة الرسمية وإحلالها محل اللغة الفصحى فى الكتابة والدواوين الحكومية، وهذا الرأى قد عارضه الرأى العام بمصر فى وقتها، غير أنه قد وجد عند بعض المستغربين أذناً صاغية فنادوا بالعامية من خلال الصحف خاصة صاحب "المقتطف" وألف المستشرق "ولمور"

أحد قضاة المحاكم المختلطة بمصر كتاب "لغة القاهرة" فوضع قواعد اللغة العامية القاهرية ونادى بوجوب إحلالها محل لغة القرآن، ثم انتقلت هذه الدعوة المسمومة إلى المستر "وليم ولكوكس" المهندس البريطانى الذى كان بوزارة الرى والزراعة بمصر، فدعا إلى هجر الفصحى وإحلال العامية محلها، وكادت هذه القضية أن تجد لها مكاناً فى بعض المكاتبات الرسمية : لولا وقوف الرأى العام فى وجهها وفطنة المسؤولين إلى خطورة هذه الدعوة المسمومة فى القضاء على أهم رابطة بين المسلمين والعرب وهى لغة القرآن الكريم.

ومما هو جدير بالذكر هنا، الإشارة إلى ما قام به القسيس "دانلوب" المستشار البريطانى لوزارة المعارف الذى حاول جاهداً أن يجرد مناهج التعليم فى مصر من سماتها الإسلامية فى كثير من المواد الدراسية، فأنشأ عدداً كبيراً من المدارس الإنجيليزية تدرس جميع موادها بلغة المستعمر، وكانت هذه المدارس تبدأ نشاطها المدرسى كل يوم بالصلاة فى كنيسة المدرسة وأوصى "دانلوب" أن تكون حصص المواد الشرعية واللغة العربية فى المدارس الحكومية فى نهاية اليوم الدراسى، بعد أن يكون التلميذ قد أصابه الملل والسأمة، وظلت المناهج الدراسية التى وضعها دانلوب لوزارة المعارف المصرية تعمل عملها فى تخريج أجيال مبتوتة الصلة بالإسلام وقضاياه إلى وقت قريب، والتقت أهداف "كرومر" و"دانلوب" فى محاولة إبعاد الحياة الثقافية والتعليمية فى مصر عن روح الحياة الإسلامية وحاول كل منهما جذب بعض الشخصيات إلى هذا التيار

العلمانى الصليبى ولكن هذه المحاولات كانت تبؤ بالفشل فى معظم الأحيان.

مؤتمرات التبشير :

يعقد المبشرون كثيراً من المؤتمرات فى العالم الإسلامى لرسم الخطط التبشيرية المناسبة وتقويم العمل فى الفترات السابقة ومحاولة معالجة ما شابها من قصور أو تقصير، هذا بالإضافة إلى وضع المؤلفات المستقلة التى ألفها المبشرون لوضع خريطة كبرى للتبشير العالمى على مستوى جميع الشعوب غير المسيحية، ومن أهم هذه المؤلفات ذلك البحث الخطير الذى كتب مقدمته المسيو شاتيليه" وضمنه مجلة "العالم الإسلامى" الفرنسية المصورة فأصدرت هذه المجلة عدداً ضخماً سنة ١٩١١م ليس فيه غير هذا البحث الضخم الذى وضعه شاتيليه وكان يدور كله حول ما تقوم به الإرسالية التبشيرية البروتيستانية فى العالم الإسلامى وتضمنت هذه المقدمة الدور الذى تقوم به كلية القديس يوسف اليسوعية فى بيروت فى نشر تعاليم الإنجيل فى سوريا ولبنان، ثم جاء كتاب تاريخ التبشير للمستر "أدوين بلس" البرتستانتى الذى تضمن تاريخ التبشير فى العالم الإسلامى حتى أواخر القرن التاسع عشر، ومن أهم الشخصيات التى برزت فى تاريخ التبشير الحديث القسيس صموئيل زويمر. الذى كتب بحوثاً متعددة عن التبشير ووسائله فى جزيرة العرب وقد بين زويمر فى بحوثه أهمية الالتفاف حول جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام وأشار إلى ضرورة الربط بين مصالح المبشرين فى بيروت وسوريا

ومكة والمدينة لأن ذلك سوف يمهد للمبشرين النفاذ إلى هاتين المدينتين المقدستين عند المسلمين، كما لفت زويمر نظر المبشرين إلى أهمية الانتشار فى جزر ماليزيا وأندونيسيا ليمكن تخليصها من قبضة المسلمين وأشار إلى ضرورة عقد مؤتمر لمراجعة أعمال المبشرين والتعرف على المشاكل التى يواجهونها، ووضع الخطط المناسبة فى المستقبل.

١- مؤتمر المبشرين بالقاهرة سنة ١٩٠٦م :

اجتمع فى هذا المؤتمر معظم الإرساليات التبشيرية فى المنطقة برياسة "زويمر" وافتتح المؤتمر بتاريخ ٤ أبريل سنة ١٩٠٦م، وكان عدد مندوبى الإرساليات التبشيرية قد بلغ ٦٢ مندوباً رجالاً ونساء، وتم انتخاب زويمر رئيساً عاماً للمؤتمر، وكان من أهم المسائل التى طرحت على هذا المؤتمر الأمور التالية :

١- احصاء لعدد المسلمين فى العالم.
٢- وضع الإسلام والمسلمين فى شرق وجنوب شرق آسيا.
٣- منهج التعامل مع المسلمين المثقفين والمسلمين العوام.
٤- دور المرأة وشؤون النساء المسلمات.

وقد جمعت أعمال المؤتمر فى كتاب مستقل نشر باسم "وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين" جمعه القسيس فلمنج الأمريكى وكتب عليه من الخارج عبارة "نشر خاصة" ليكون الكتاب قاصراً فى تداوله على فئة خاصة من المشتغلين بالتبشير.

وضمـن هـذا الكتـاب بعـض التوصيـات التـى رفعهـا إلـى الحكومات المعنية، ومن أهم هذه الاقتراحات محاولـة الالتفاف حـول الأزهر فى مصر لأنـه مفتوح لكل الطـلاب مـن العـالم كلـه وأنـه لا يخضع فى تمويله لأى حكومة لأن أوقاف الأزهر تدر دخلاً كبيراً يساعد العالم والمتعلم فيه، ولابد من العمل على تقليص دوره، ولنبدأ ذلك بإنشاء جامعة نصرانية تشارك فى الإنفاق عليها جميع الكنائس المسيحية على احتلاف مذاهبها لأن فى التخلص منـه مصلحـة لجميـع الكنائس بلا استثناء، ولقد قام زويمر بعمل خريطـة أسماها "خريطـة تنصير العالم الإسلامى" فى هذا العصر ووزع أعداداً كبيرة منها على كبار المسؤولين فى الحكومات الغربية وكتب على كل نسخة نداء إلى المسؤولين لعلـه يجد صدى لـه فـى أوربا وأمريكا، وعرض هـذه الخريطة على المؤتمر وضمنتها كتابه "العالم الإسلامى اليوم" وكأن من أهم ما نصـح بـه زويمر فـى كتابـه هذا إثارة بعض المشكلات الاجتماعية وطرحها فى النـدوات واللقـاءات الثقافيـة كمشكلة الطلاق والتعدد، وإرث المرأة ولماذا يكون نصف الرجل، كما أوصى بـالعمل على أن يجتهد المبشرون فى إيجاد أصدقاء لهم من المسلمين يقومـون بنشر هذه الأفكار بين المسلمين ليتحولوا فيما بعد إلى مبشرين بتعـاليم المسيح نيابة عن النصارى ومن أهم أعمال زويمر التبشيرية:

١- تقرير أهداف التبشير الذى قدمـه المؤتمر الذى عقد بالهند سنة ١٩١١ وصرح فيه بأن هدف التبشير ليس هو تنصير المسلم فقط وإنما الأهم من ذلك التنكر لتعاليم الإسلام.

٢- التقرير الذى نشره فى ١٢ أريل سنة ١٩٢٦م ويشير فيه إلى تلك المجهودات الكبيرة التى بذلها المبشرون والمصاريف الباهظة التى انفقوها ولم تؤث ثمرتها ولذلك يجب التفكير فى تطوير وسائل التبشير ومناهجه، ومما جاء فى هذا التقرير قوله: .. وعندى أنه قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين يجب أن نهدم الإسلام فى نفوسهم، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم.

٢- مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥م :

عقد هذا المؤتمر تحت حماية الاحتلال البريطانى لفلسطين وكان أبرز المتحمسين فيه بالعداء للإسلام "زويمر" وألقى خطبته على الحاضرين من المبشرين، ومن المهم للقارئ أن أضع أمامه نص هذا الخطاب ليعرف كيف تلتقى مصالح التبشير والاستعمار مع مصالح اليهود فى فلسطين ليجمعهم هدف واحد هو التخلص من الإسلام : قال زويمر :

أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل ولقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن الأداء.. إننى أقركم أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية من المسلمين ليسوا بمسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم ثلاثة.

إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام،

أو رجل مستخف بالأديان لا يهتم بغير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش،



وثالث يبغى الوصول إلى غاية شخصية .. إن المهمة التى ندبتكم إليها دول المسيحية فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية.. ولقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقيقة من الدهر.. على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها دول أوروبا وأمريكا.

أيها الزملاء : إنكم أعددتم فى ديار الإسلام شباباً لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم بعضهم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية، وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقاً لما أراده الاسعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا هم له فى دنياه لا الشهوات..

فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فالشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، وفى الشهوات يجود بكل شىء.. باركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار، فاستمروا فى أداء رسالتكم، لقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب"[١٩].

---

(١٩) من كتاب : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام: محمد محمود الصواف، ص٥٨-٥٩، نقلا عن : قوى الشر المتحالفة : محمد الدهان ص١١٢-١١٥.

المراجع

١- المستشرقون، نجيب العقيقى.

٢- الاستشراق والاستشراق معكوساً، ادوارد سعيد.

٣- المستشرقون ومناهجهم : مجموعة بحوث ودراسات عن موقف المستشرقين من الفكر الإسلامى وقاضاياه.

٤- التبشير فى منطقة الخليج العربى، د. عبدالملك خلف التميمى ط. الكويت سنة ١٩٨٢م.

٥- قوى الشر المتحالفة ..التبشير والاستشراق، محمد الدهان، دار الوفاء بالقاهرة.

٦- التبشير المسيحى فى منطقة الخليج : أحمد فون دنفر، سلسلة دراسات تاريخية إسلامية.

٧- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى : د.محمد البهى ط. وهبة، سنة ١٩٨٥م الحادية عشر.

٨- التبشير والاستعمار فى البلاد العربية : دكتور مصطفى خالدى د. عمر فروخ.

٩- التبشير والاستشراق : محمد عزت الطهطاوى طبع مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٩٧٧م.

١٠- التعصب الأوربى أم التعصب الإسلامى، بحث لشكيب ارسلان، طبع ضمن كتاب حاضر العالم الإسلامى : تأليف لوثروب استودارد الأمريكى، ترجمة : عجاج نويهض.

١١- الغارة على العالم الإسلامى، محب الدين الخطيب، ط. السلفية بمصر.

١٢- رسائل بولص الأنطاكى فى : أصول العقيدة المسيحية والرد على المسلمين والقرآن. وهى عبارة عن ٢٢ رسالة فى الرد على بعض آيات القرآن وتأليه المسيح ومناهضة المسلمين، ط معهد الآداب الشرقية، ببيروت، النص العربى، ولخلص به النص بالفرنسية.

١٣- التصوف الإسلامى، نيكلسون ترجمة أبوالعلاء عفيفى.

١٤- مذاهب التفسير الإسلامى : جولدتسيهر، ط. القاهرة.

١٥- تاريخ الفلسفة الإسلامية : ديبور، ترجمة د. محمد عبدالهادى أبو ريده، ط. القاهرة.

١٦- الفكر الإسلامى بين الأصالة والتقليد، د. محمد الجلنيد، بحث نشر بمجلة الثقافة المصرية، سنة ١٩٧٧م.

١٧- الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى، عبدالمجيد الشرفى، ط. تونس سنة ١٩٧٧م.

١٨- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : محمد محمود الصواف.

١٩- المبشرون والمستشرقون د. محمد البهى، ط. القاهرة مكتبة وهبة.

فهرس

الموضوع ... الصفحة